دكتور عبد القادر سيد عبد الرؤوف

الثقافة الإسلامية
في
مواجهة التحديات المعاصرة

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين يحيي قلوب عباده بطاعته ، ويضيء عقولهم بنور كتابه ، دعا الناس إلى الإيمان به والتصديق بكتابه ، ونصب لهم آيات وحدانيته ، ودلائل ألوهيته ، وعلامات ربوبيته .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين ، الذى بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وبين للناس ما أنزل الله إليه من وحي ، وكشف الغمة ومحا الظلمة ونصح الأمة ودعاها إلى التفقه فى الدين والإلتزام بالشريعة : وبعد فإن الأمم تقاس رفعة وانخفاضاً وتقدماً وتأخراً بمقوماتها الفكرية وقيمها الأخلاقية ، وإنجازاتها العلمية ، وقد كان للثقافة الإسلامية دورها العظيم فى بنـــاء الأمة الإسلامية وترسيخ عظمتها وتوطيد سلطانها واستمرار بقائها وعطائها .

إن هذه الثقافة العظيمة أوجدت خير أمة أخرجت للناس ، تميزت بعقيدتها ومنهجها وقيمها وأهدافها ، وكانت هذه الثقافة عاملا أساسياً فى إيجاد الأمة الـــتى احتلت مركز القيادة الفكرية ، والزعامة السياسية والصدارة العلمية فى العالم مدة أربعة عشر قرناً من التاريخ البشرى ولو نظرنا إلى الأمة الإسلامية والعربية فى الوقت الحاضر لوجدناها أحوج ما تكون إلى هذه الثقافة ، التى تحفظ عليها شخصيتها الفريدة وعن طريق الثقافة تربط الأمة الأسلامية والعربية ماضيها المشرق بحاضرها الذى نرجو الله جلت قدرته أن يكون سبيلا إلى مستقبل جميل زاهر زاخـــر بالأمجاد والبطولات العظيمة إن شاء الله تعالى والثقافة الإسلامية تجعل لدى الأجيال على مر العصور والدهور المناعة الفكرية والنفسية ضد التيارات المعادية ، التى قد تتعرض لها الأمة الإسلامية العربية فى مسيرتها .

إن الثقافة الإسلامية تتميز بالإتساع والشمول بحيث تحتوى على كافة المقومات الـــتى تنهض عليها الثقافة السليمة الرائعة ، فالثقافة الإسلامية ليست كغيرها من الثقافات الأخرى ، التى تفتقر إلى العديد من المقومات الهامة الضرورية ، هذه الثقافات التى تأتى على شكل مشوه وطابع ملتو مريض .

إن الثقافة الإسلامية ثقافة متكاملة بمعنى أن أجزاءها ومقوماتها يكمل بعضها بعضا فنعطى حصيلة من الثقافة الشاملة الكاملة ، الثقافة التى تجمع بين العنصر الروحى والعنصر المادى ولا تفضل أحدهما على الآخر .

كما أنها تتميز بالمتانة والعمق فلا تتفق مع الضعف والسطحية بأى حال لأنها تدور فى فلك الإسلام برسوخ عقائده وروعة تصوراته وشمول مبادئه ونظمه .

كما أن الثقافة الإسلامية ترفض المغالاة أو الإفراط أو التطرف ، لأنها وليدة الإسلام ، ذلك النظام المعتدل الوسط ، الذى يكره الإسراف والمغالاة فى شتى ضروب الحياة ، حتى لا يطغى جانب فى الحياة أو الإنسان على الجوانب الأخرى .

وبذلك فإن الإسلام يحذر من المغالاة ويقدر الاعتدال فى شتى معانى الحياة واشكالها وفى أنواع السلوك والتصرف للإنسان وذلك اسلم عاقبة وتقديراً وأبعد عن مواطن الضلال والهلاك .

كما أن الثقافة الإسلامية واجهت تحديات عنيدة ، فقد واجهت أفكاراً شعوبية إلحادية وفلسفات وثنية كالفلسفة الفارسية واليونانية والهندية وغيرها ، ولكن الثقافة الإسلامية ثبتت أمام هذه التحديات وانتصرت عليها نصراً عظيماً ، فقد كان المجتمع الإسلامى آنذاك يعى الإسلام وعياً كاملا ، ويدرك أخطار الأفكار والإتجاهات التى كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة وما تحمله من شبهات ضالة ومضللة .

وهذا البحث يبين أهمية الثقافة الإسلامية لأى مجتمع من المجتمعات بما تحمله هذه الثقافة من مصادر أصيلة وخصائص عظيمة وأثر طيب فى حياة المجتمعات ، التى طبقت هذه الثقافة .

والثقافة الإسلامية لا غنى عنها لأى مجتمع يريد التقدم والإزدهار، والعزة والكرامة .

هذا . وقد اشتمل الكتاب على : —

مقدمة : اشتملت على :

تمهيد— مفهوم الثقافة الإسلامية لغة واصطلاحاً— مفهوم العلم — الفرق بين العلم والثقافة—طريقة الإسلام فى دراسة الثقافة— ثم المبحث الأول مصادر الثقافة الإسلامية المبحث الثانى : خصائص الثقافة الإسلامية واشتمل على :

١ — ربانية　　　　٢ — إيجابية

٣ — إنسانية وعالمية　　　　٤ — الشمول والتوازن

٥ — التكامل والتناسق　　　　٦ — الحق والعدل

٧ — القيم والمثل السامية　　　　٨ — الشخصية الإسلامية

المبحث الثالث : أهمية لثقافة الإسلامية واشتمل على .

١ — الفرق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى .

٢ — ضرورة الثقافة الإسلامية .

٣ — أثر الثقافة الإسلامية فى حياة المجتمعات .

المبحث الرابع : التحديات الـتى واجهت الثقافة الإسلامية واشتمل على :

مدخل — الغزو الفكرى الغربى — مؤسسات الغزو الفكرى — التبشير — مراكز التبشير ومتابعة . — وسائله :

١ — التعليم .

٢ — المكتبات والطباعة والصحافة .

٣ — الجمعيات ٤ — التطبيب

٥ — العمل الاجتماعى .

الإستشراق : اتجاهات المستشرقين — وسائلهم فى نشر أبحاثهم وأفكارهم .

الإستعمار — التغريب — نتائج الغزو الفكرى — موقف الأمة الإسلامية من الغزو الفكرى الغربى — وحدة الأمة الإسلامية وموقف الغرب — أساليب الغرب فى إحياء النزعات الجاهلية :

١ — الفرعونية ٢ — الرومانية

٣ — الفارسية ٤ — الاغريقية

٥ — الفينيقية .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يحقق به ما أردت من نفع وخير

المؤلف

تمهيد

« الثقافة الاسلامية »

جاء الإسلام إلى الناس جميعا لا يختص بأمة دون أمة ، لأنه دعوة عالمية جاء للإنسانية جمعاء . فلم يتقيد بزمن دون زمن ولا مكان دون مكان ، ولم يأت لجنس خاص أو بيئة معينة من الناس وفى هذا يقول سبحانه وتعالى « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »[1] ، وقال عز وجل : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[2] .

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: « بعثت إلى الأسود والأحمر »

قال مجاهد : يعنى الجن والإنس وقال غيره يعنى العرب والعجم والكل صحيح[3] .

وعلى هذا فالثقافة الإسلامية ثقافة عامة أى للناس جميعاً بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم ، فقد اشتملت هذه الثقافة على أمور جعلتها صالحة لثقافة الإنسان ، حيث أنها نظرت إلى فطرته ، وعالجت غرائزه واحترمت عقله ، فكان لها فى حياة الإنسان أهمية عظيمة ومكانة كبيرة ، ومن هنا

---

(١) الأعراف : ١٥٨ (٢) سبأ : ٢٨

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٣٩

فالواجب على المسلم الوقوف عليها والأخذبها ، بل الإنسان بصفةعامة لما فيها من صلاح وأمن وطمأنينة .

وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أدركوا مقدار الثقافة الإسلامية، فأخذوا بها وكان لها بالغ الأثر فى تحديد معالم الشخصية الإسلامية لدى الفرد والمجتمع .

وقد أمر الإسلام بالاستزادة من الثقافة كى تنمو عقلية المسلم وتصبح قادرة على مقياس كل فكر من الأفكار ، ويكون الإسلام وحده المقياس العام للأفكار عن الحياة ، حتى تكون ميول النفس على أساس الإسلام قال رسول الله ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[1] ومن هنا تكون شخصية المسلم شخصية متميزة عن غيرها من الشخصيات وهى الشخصية الإسلامية .

إن القضية الحيوية لكل إنسان هى أن يدرك حقيقة وجوده وموقفه من هذا الكون ، ليكون على بينة من أمره فى كل اتجـــاه وتصرف وسلوك .

فالمنهج السلوكى متوقف على الفهم الحق لحياة الإنسان، وبما أن الإسلام هو المنهج الحق وأن السعادة مرهونة باتباعه والتزامه ، فإن فهم الأحكام الشرعية والتثقيف بالثقافة الإسلامية من أعظم الفروض وأوجب الواجبات قال الرسول ، ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين »[2] .

---

(١) الإمام البخارى عن أنس رضى الله عنه .
(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

مفهوم الثقـــافة :

الثقافة لغة : — تعنى الفطنة وسرعة الفهم ، والتهذيب ، وتقويم المعوج والتسوية وسرعة التعليم فهى ترد فى اللغة العربية على جملة معان : —

نقـول : ثقف الشىء ثقفاً وثقافاً وثقوفة بمعنى حذقه ، ورجل ثقف وثقف وثقف أى حاذق فهم . وثقف الرجل صار حاذقاً خفيفاً فطناً[١].

وثقف الرجل ثقافة صار حاذقاً خفيفاً ومنه المثاقفة ، ويقال أيضاً ثقف الشىء وهو من سرعة التعلم[٢] والثقاف هو ما تسوى به الرماح ، وثقفه تثقيفاً أى سواه وقومه بعد اعوجاج[٣] ، والثقاف والثقافة أيضاً العمل بالسيف ، رقيل فى الثقاف أى الخصام والجلاد[٤] .

وقد تستعمل كلمة الثقافة فى الإدراك وأخذ الشىء والظفر به فنقول : ثقف : أدرك الشىء ظفر به فى الحرب ومنه قول الله عز وجل :«واقتلوهم حيث ثقفتموهم »[٥] أى أدركتموهم وظفرتم بهم .

وقوله تبارك وتعالى:« فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم»[٦] أى : فإما تظفرن بهم وتدركهم فشرد بهم .

ومن هنا فإن كلمة الثقافة تأتى بمعنى الأخذ والظفر وإدراك الشىء كما سبق فى الآيات الكريمة .

وقد ترد كلمة التثقيف فى الاستعمال المجازى بمعنى التأديب والتهذيب

---

(١) مختار الصحاح للرازى ٨٤، ٨٥ ط ١

(٢) القاموس المحيط للفيروز أبادى حـ٣ ١٢٥ ط ٢

(٣) ، (٤) لسان العرب جـ ٩ ص٢٠

(٥) البقرة : ١٩١ (٦) الأنفال : ٥٧

فيقال مثلا : لولا تثقيفك إياى ما كنت شيئاً، وهل تهذبت وتثقفت إلا على يدك)[١] .

الثقافة فى الإصلاح :

اختلفت آراء الباحثين فى مفهوم الثقافة الاصطلاحى ، فمنهم من قال : هى أسلوب الحياة فى المجتمع ، فالعادات والأفكار التى يشترك فيها أفراد المجتمع والتجارب التى يمر بها الإنسان فتستقر فى أعماقه ، كلها أشياء يتسم بها البشر واستمدها المجتمع البشرى عبر التاريخ جيلا بعد جيل، وتناقلتها الأعقاب المتوالية كتراث اجتماعى[٢] .

ومنهم من قال : الثقافة فى إجماع الباحثين هى موقف فكرى وعمل من تراث البشرية وهى تحقيق للقيم الثابتة فى أمة معينة ، وهى نسيج من النظم والأفكار والعقائد والأهداف والآمال والمثل العليا[٣] .

ومنهم من قال : هى مجموعة العلوم والفنون والمعارف النظرية التى تؤلف الفكر الشامل للإنسان فتكسبه أسباب الرقى والوعى والتقدم[٤].

ومنهم من قال : المعرفة التى تؤخذ عن طريق الإخبار والتلقى والاستنباط[٥] كالتشريع واللغة والتاريخ والفلسفة وغيرها من المعارف الإنسانية أو العقلية .

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى ٩٦
(٢) نظرات فى الثقافة . هارى شابيروص ١
(٣) التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام أنور الجندى ٢٢٠
(٤) دراسات فى الثقافة الإسلامية د/أمير عبد العزيزص ١٦
(٥) الإسلام وثقافة الإنسان سميح عاطف الزين ٢٨٠

هذا عن مفهوم الثقافة الإصطلاحى بوجه عام ، أما عن مفهومها فى الإسلام فهى : تلك العلوم والمعارف التى تحلت بها الأمة الإسلامية بعد تلك الحالة التى كانت عليها الأمة العربية فى عهد الجاهلية(١) .

ورأى آخر يقول : أنها مجموعة المعارف والتصورات والعلوم النظرية التى تدور فى فلك الإسلام لتنبثق عنها فكرة شاملة عن الكون والإنسان والحياة والتى تؤثر فى الفرد والمجتمع فتضفى عليهما طابعاً شخصياً معيناً(٢).

ورأى يقول : تعرف الثقافة الإسلامية بأنها المعارف التى كانت العقيدة الإسلامية سبباً فى بحثها كعلم التوحيد والفقه والتفسير والحديث ، وعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم اللغة العربية ومصطلح الحديث وعلم الأصول فهذه كلها ثقافة إسلامية ، لأن العقيدة الإسلامية هى السبب فى نشوئها وبحثها(٣) .

ورأى يقول : الثقافة الإسلامية هى مجموعة العلوم والمعارف والفنون التى عرفت للأمة الإسلامية على مدى تاريخها واختلاف عصورها ولها جوانب ثلاثة يتفرع عن كل منها علوم ومعارف وفنون :—

الجانب الأول من الثقافة الإسلامية هو الجانب الدينى ويتفرع عنه علوم الدين والشريعة من تفسير وحديث وفقه ، وغير ذلك من كل ما له صلة بالعقيدة والشريعة .

الجانب الثانى : هو الجانب اللغوى ويتفرع عنه علوم اللغة من نحو، وصرف وبلاغة وأدب وغير ذلك من كل ماله صلة باللغة العربية .

---

(١) الثقافة الإسلامية محمد راغب الطباخ ص١٠
(٢) دراسات فى الثقافة الإسلامية ص ١٧
(٣) الإسلام وثقافة الإنسان ص ٣٨

الجانب الثالث : هو الجانب المادى ويتفرع عنه كل العلوم الكونية من طب وفلك وطبيعة وكيمياء وجبر وهندسة وغير ذلك من كل مايتعلق بالكون ومظاهره وهذه الجوانب الثلاثة يكمل بعضها بعضاً(١) .

والذى أميل إليه وأرجحه من التعريفات السابقة ، التعريف الأخير حيث أطلق الكلمة — الثقافة — على كافة العلوم والمعارف والفنون الدينية منها واللغوية والمادية سواء من الناحية النظرية أو من الناحية التطبيقية .

ومن هنا فالثقافة الإسلامية تختلف عن الثقافات الأخرى باعتبار أنها تدور فى فلك المصدرين الأساسين الهامين وهما القرآن الكريم كتاب رب العالمين وسنة رسول الله - ﷺ - ويضاف إليهما جملة المعارف والعلوم الأخرى ، التى لا يمانع الإسلام فى معرفتها أو الوقوف عليها ، وصارت الثقافة الإسلامية تشمل الكتاب والسنة واللغة والتفسير والحديث والفقه والأصول والتوحيد والسيرة والتاريخ .

ومن الثقافات ما هو سام يعلى من شأن الإنسان ويسعده ويرفع من قدره ، ومنها ما يهبط بالإنسان ويشقيه ويحط من شأنه وقدره ، وهى تؤثر فى سلوك الإنسان أفراداً وجماعات كما تؤثر فى نظام حياته واتجاهاته .

مفهوم العلم :

العلم لغة :— يطلق العلم على المعرفة يقال : علمت الشىء أى عرفته(٢)

(١) مجلة منبر الإسلام : واقع ومستقبل الثقافة الإسلامية واللغة العربية فى أفريقيا ، أحمد يوسف القرعى فبراير ١٩٧٨

(٢) لسان العرب لابن منظور ، القاموس المحيط للفيروز أبادى مادة علم .

وفى القديم كان العلم يطلق على كل معرفة منظمة لها أبوابها ومسائلها سواء أكانت معرفة ثقافية كعلم التاريخ وعلم اللغة ، أو معرفة علمية كعلم الكيمياء وعلم الفيزياء ، أما فى العصر الحديث فقد أصبح للعلم معنى اصطلاحى يختلف عن معنى الثقافة وأصبح يختص بمعارف معينة .

العلم اصطلاحاً : هو المعرفة التى تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج[1] كعلم الفيزياء وعلم الكيمياء ، وعلم الطب وسائر العلوم التجريبية ، وللعلم منهج معين فى البحث يسلك للوصول إلى معرفة حقيقة الشيء الذى يبحث عنه وخصائصه ، عن طريق إجراء التجارب عليه ، ولا يكون هذا المنهج إلا فى بحث المواد المحسوسة ، ولا يكون فى بحث الأفكار كالعقائد والتشريع مثلا .

الفرق بين العلم والثقافة :

مما سبق يتضح لنا أن هناك فروقاً بين العلم والثقافة ، هذه الفروق تتمثل فى : —

١ — الثقافة تطبع الأمة بطابع خاص يميزها عن غيرها ويحدد شخصيتها وهويتها أما العلم فلا علاقة له بذلك .

٢ — أن كلا من العلم والثقافة معرفة . ولكن طريقة الوصول إلى المعرفة فى أى منهما تختلف عن الأخرى ، فطريقة الوصول إلى العلم هى الطريقة العلمية التى تقوم على التجربة والملاحظة والاستنتاج : وأما طريقة الوصول إلى الثقافة فهى الطريقة العقلية التى تقوم على التلقى والإخبار والاستنباط .

---

(١) الإسلام وثقافة الإنسان ص ٢٨٢،٢٨٣ سميح عاطف الزين .

٣ — العلم عالمى لا يختص بأمة دون أخرى ، وأما الثقافة فإن لكل أمة ثقافة تختص بها ، ولذلك فإن العلم يمكن تبادله بين الشعوب والأمم دون قيد أو شرط كعلم الفيزياء وعلم الكيميا وعلم الطب وغيرها ، بينما نجد أن الأمم تحرص على ثقافتها وعلى نشرها بين الأمم وتمنع أبناءها من التأثر بالثقافات الأخرى حفاظاً على شخصيتها

٤ — حقيقة المعرفة التى يتوصل إليها العلم غير حقيقة المعرفة فى الثقافة ، فالأولى تنتج أشياء مادية كالأدوات والأجهزة ، والثانية وهى الثقافة تنتج سلوكاً وعلاقات على وجه ما .

٥ — من الثقافة ما هو سام يعلى من شأن الإنسان ويسعده ويرفع من قدره ، ومنها ما يهبط بالإنسان ويحط من شأنه . وأما العلم فإنه لا يوصف بمثل ذلك لأنه نتائج للخواص التى أودعها الله فى الأشياء .

٦ — العلم وظيفة العلماء ، الذين يقومون بالتجارب داخل المختبرات ، أما الثقافة فهى من مهام الرسل والمفكرين ورجال الدول ، الذين يشرفون على المجتمع والعلاقات الدائرة فيه[1] .

وترجع الثقافة الإسلامية إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة فعنهما اكتسبت جميع فروع الثقافات الإسلامية فقد نزل القرآن الكريم على الرسول ﷺ ليبينه للناس ، قال عز وجل « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »[2] وأمر المسلمين أن أخذوا ما يأتى به الرسول ﷺ قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »[3] ، وأخذ ما أتى به الرسول ﷺ لا يتأتى إلا بعد فهمه وتعلمه فكان من

---

(١) الثقافة والثقافة الإسلامية — سميح عاطف الزين ص ٣٢

(٢) النحل : ٤٤ (٣) الحشر : ٧

نتيجة ذلك وجود المعارف التي اقتضاها فهم الكتاب والسنة فنشأت أنواع المعارف الإسلامية .

طريقة الإسلام في دراسة الثقافة الإسلامية :

للإسلام طريقة خاصة في دراسة الثقافة الإسلامية وهي تتلخص في أن ندرس هذه الثقافة بعمق وفهم وإيمان من أجل العمل بها وتطبيقها في الحياة ، ولذلك فهي تستحوذ على الأذهان ، وتجعل المثقف بها طاقة حية خيرة منتجة ، وهذا بخلاف الدراسة المبنية على فروض نظرية أو لمجرد المعلومات فإنها لا أثر لها في حياة الناس ، وهذا ما يميز ثقافة الإسلام عن غيرها من الثقافات الأخرى .

والدارس للثقافة الإسلامية لا ينبغي له أن يدرس الثقافات الأخرى إلا بعد أن يستوعب ثقافته وتنضج عقليته ، وتسمو نفسيته لكي تتوافر لديه المعايير والمقاييس الصحيحة التي يقيس بها أفكار الآخرين .

هذه طريقـــة الإسلام في الدرس ، وهي التعمق في البحث ، ومتى استكملت الدراسة طريقتها هذه كان المسلم المثقف بالثقافة الإسلامية على هذه الطريقة عميق الفكر ، موضوعي النظرة ، مرهف الإحساس ، قادر على حل مشاكل الحياة التي تصادفه ، ويسير في طريق الكمال والعلو طوعاً واختياراً ولا يخطر بباله أن يحيد عنها[1] .

والإسلام وهو أساس الثقافـــة يتنافى تماماً مع السطحية ، وهو بطبيعته يتجلى فيه العمق ، الذي يضرب بجذوره في أعماق الفكر والعقيدة ليخرج المعاني والأفكار والقيم التي تؤلف نظام الإسلام الكبير ،

---

(١) الثقافة والثقافة الإسلامية ص ٣٣ سميح عاطف الزين .

ذلك النظام الشامل الذى يشمل الحياة كلها على اختلاف صورها ودروبها ومقوماتها .

إن الإسلام على اتساعه وشموله وسموه يمد الثقافة من الإمداد الفكرى والروحى ، والنفسى حيث يقدم للإنسانية خير ثقافة واسعة عميقة متكاملة ، تتصف بالاعتدال والاتزان ، بعيدة عن أسباب الذلل والانحراف ، بعيدة عن المغالاة والإفراط والتفريط .

المبحث الأول

مصادر الثقافة الاسلامية

إن الإسلام بعقيدته وأحكامه ونظمه وثقافته هو أساس نهضة المسلمين وعنوان عزهم ، ومن أجل ذلك أخلصوا له ، وأقبلوا على القرآن الكريم يتدبرونه ويفسرونه ، وعلى الحديث الشريف يروونه ويجمعونه ، وأخذوا يستنبطون الأحكام ، التى تعالج مشاكل الإنسان ، ويتتبعون أخبار النبى صلى الله علية وسلم وغزواته يحفظونها ويتناقلون أخبارها وعلى المغازى والفتوحات يسجلونها ويوثقون أحداثها .

ولما كان فهم القرآن الكريم لا يتأتى بغير اللغة العربية ، أقبلوا على اللغة العربية يدونون ألفاظها ويحددون معانيها ويشرحونها ويضعون قواعدها ثم لما انتشر الإسلام أقبل الناس عليه فدخلوا فيه وأخلصوا له ، فكان أن تفرعت نتيجة هذا أنواع المعارف الإسلامية كافة لدى المسلمين ، وأخذت هذه المعارف تنمو بالدرس والتعمق فى البحث فتكونت لدى المسلمين ثقافة إسلامية متعددة الإتجاهات . وكان المسلمون يهتمون بهذه الثقافة مع إهتمامهم بما فى الكون من علوم وصناعات والثقافة الإسلامية تستمد مقوماتها وأصولها الرئيسية من المصادر الآتية :

كما يحث القرآن الكريم ويدعو إلى تعلم علوم الطبيعة وغيرها قال عز وجل : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين »[١] وقال أيضا : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء »[٢] .

وواضح من السياق فى الآيات السابقة أن المراد بالعلماء هنا العالمون بالآيات وأسرار الخلق التى أودعها الله عز وجل على هذه الأرض ، وموضوع هذه الآيات هو نفس موضوع العلم الطبيعى ، فالعلم الطبيعى يبحث عن الأشياء الكونية وطبائعها وخواصها والعلاقات التى بينها ثم عن حقيقتها إن أمكن ، أى عن آيات الله المودعة فى هذه الأشياء . ففى آية فاطر مثلا : لا يعرف سر نزول الماء من السماء إلا بعلم الطبيعة ولا يعرف تركيبه وخواصه إلا بعلم الكيمياء ، ولا يعرف الإنبات والأثمار فيهاإلا بعلم النبات ، ولا يعرف ماالجبال ولاطرائقها البيض والحمر والسود إلا بعلم طبقات الأرض ، ولا يعرف إختلاف أجناس البشر والدواب والأنعام إلا بعلمى أصل الشعوب والحيوان ، ثم انظر إلى ختام الآية « إنما يخشى الله من عباده العلماء » فقد حصر الله الخشية الكاملة من الله فى العلماء الذين يتدارسون آياته الكونية ، لأن العلماء إذا كانوا مؤمنين حملهم علمهم بأسرار الطبيعة على خشية الله خالقها[٣] ومن كثرت معرفته بالله تعالى اشتد خوفه منه هيبة وتعظيما ووقاراً . كما حث القرآن الكريم المسلم على التفكير فى خلق السموات والأرض فقال تعالى : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين

---

(١) الروم : ٢٢ (٢) فاطر ٢٧ ، ٢٨

(٣) روح الدين الإسلامى عفيف عبد الفتاح طبارة ٢٧٦

ويعتبر القرآن الكريم ينبوع الثقافة الإسلامية ومصدرها الأول ، ذلك لأن القرآن الكريم حث على الثقافة والعلم ، وإذا نظرنا إلى أول آية نزلت على رسول الله ﷺ وهى قول الله عز وجل « إقرأ باسم ربك الذى خلق »[1] نجد أنها تأمر بالعلم وتحث عليه ولشرف العلم ومكانته فى الحياة الدنيا طلب الله تبارك وتعالى من رسوله ﷺ أن يسأل المزيد منه فقال سبحانه وتعالى : « وقل رب زدنى علماً »[2] وشرف الله عز وجل به أهله فقال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب »[3] ففى هذه الآية الكريمة من تشريف العلم ما فيه إذ حكم الله جل فى علاه بأن أهله يمتازون على سواهم ، ثم حصر التذكر فى أولى الألباب أى أصحاب العقول ولا مقوم للألباب غير العلم .

ثم يصرح القرآن الكريم فى آية أخرى بأن العلماء لهم درجات عند ربهم وميزات خصهم بها فقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »[4] ولا يرتفع المسلم بفضيلة كما يرتفع بفضيلة العلم كما أن الله عز وجل اعتد بشهادة أهل العلم فى وحدانيته فقال عز وجل : « شهد الله أنه لا إله هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط »[5] فقد ساوى الله شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة ، وفى هذا من رفع قدر أهل العلم ما فيه ، وأعظم به من شرف وفضل عندما يأتى أولو العلم فى المرتبة الثالثة بعد الله عز وجل والملائكة الأخيار الكرام .

كما أنه يبين أن لا حد للعلم فقال تعالى : « وفوق كل ذى علم عليم »[6] وذلك حتى يخفف العلماء من كبريائهم ، ويطلبوا المزيد من العلم والثقافة .

---

(١) العلق : ١ — (٢) طه : ١١٤
(٣) الزمر : ٩ — (٤) المجادلة : ١١
(٥) آل عمران : ١٨ — (٦) يوسف : ٧٦

١ — القرآن الكريم :

هو كلام الله — عز وجل — المعجز المنزل على نبيه محمد ﷺ بلسان عربى مبين ، والمنقول إلينا بالتواتر جيلا عن جيل والمتعبد بتلاوته ، والمكتوب فى المصحف والمبدوء بسورة الفاتحـــة والمختوم بسورة الناس(١) .

أنزله الله تبارك وتعالى هدى ورحمة للعالمين ، وفرق به بين الخير والشر ، والحق والباطل ، وجعله تبيانا لكل شىء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتعهد الله عز وجل بحفظه فقال جل فى علاه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »(٢) .

وهو منهج حياة الناس ، فقد صاغ حياة المجتمع الإسلامى بأحكام تشريعية تناولت شئون الحياة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، فكان لها الأثر الأكبر فى صياغة مفاهيم الناس عن شئون الحياة ، وإعلاء قيمهم وتقويم أخلاقهم ، وضبط سلوكهم . ولذلك اهتم المسلمون بالقرآن الكريم حفظاً وتدويناً وتطبيقاً .

وهو الذى وحد لهجات العرب وحفظ اللغة العربية وآدابها من عوامل الضياع وهو إلى جانب ذلك رفع المستوى العقلى للمسلمين ووجههم إلى إكتشاف المجهول عن طريق مشاهدة الواقع والتأمل فيه فأخصب الحركة الفكرية ، الأمر الذى جعل الغربيين يصفون حضارة المسلمين بأنها حضارة القرآن(٣) .

---

(١) التبيان فى علوم القرآن محمد على الصابونى ص ٦

(٢) الحجر : ٩

(٣) مبادى الثقافة الإسلامية محمد فاروق النبهان ١٢٨ ، أضواء على الثقافة الإسلامية ص ١١٧

يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار»[١] .

وحثه أيضا على أن يتفكر فى عالم النفس كما يتفكر فى عالم الطبيعة قال عز وجل : «وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون»[٢].

وقال : «كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون»[٣].

وقال : «ونفصل الآيات لقوم يعلمون»[٤] ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون»[٥] ، «أو لم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق»[٦].

مما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم هو خير كتاب يهيء للمسلم أصول الثقافة المستقيمة ، وييسر أمامه مناهلها، ويفتح له مغاليقها، وذلك بشهادة الحق سبحانه وتعالى الذى قال وقوله الحق : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم»[٧].

وقال أيضا : «وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خسارا»[٨].

وقال عز وجل : «إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا»[٩] .

والقرآن الكريم كتاب الثقافة الإسلامية أيضا بشهادة الرسول ، ﷺ حيث قال : «كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم وحكم

---

(١) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ (٢) الحشر : ٢١
(٣) البقرة : ٢١٩ (٤) التوبة : ١١
(٥) الأنعام : ٩٨ (٦) الروم : ٨
(٧) المائدة : ١٥ ، ١٦ (٨) الإسراء : ٨٢ (٩) الإسراء : ٩

ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى إلى صراط مستقيم[١].

وقال أيضا صلوات الله وسلامه عليه : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[٢] .

والقرآن الكريم كتاب الثقافة الإسلامية وينبوعها أيضا بشهادة غير المسلمين فهذا المستشرق الفرنسي موريس بوكاى يقول : إن القرآن الكريم أفضل كتاب أرسلته العناية الإلهية للنبي محمد — ﷺ — فهو بمثابة ندوة للعلماء ، ومعجم لغة للغويين، ونحو لمن أراد تقويم لسانه ، وإن القرآن الكريم دائرة معارف عامة للشرائع والقوانين ، وإن القارىء ليسجد لعجائبه التى تتجدد ، وأسراره التى لا تنفذ[٣] .

فكأن القرآن الكريم كان الينبوع الذى تفجرت عنه مباشرة أو بطريق غير مباشرة هذه الثقافة ، ومن أجل هذا أقبل عليه المسلمون يرتلوه ويفهموه ويحفظوه ويستنبطوا منه علوم ثقافتهم ومعارفهم.

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى حـ ٢ ص ٥٥
(٢) رواه البخارى رياض الصالحين ٤٠٢
(٣) القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم موريس بوكاى ٢٨٥ ، ٢٨٦

٣ — السنة النبوية الشريفة :

تستمد الثقافة الإسلامية مقوماتها أيضا من السنة النبوية الشريفة قولا وفعلا وتقريرا ، أمرا ونهيا ، ترشيدا وتوجيها ، ولاعجب فى ذلك حيث أن الرسول ﷺ هو المترجم لمعانى القرآن الكريم، والسنة النبوية وحى معناها من الله تعالى واللفظ من الرسول ﷺ ، قال تعالى : « وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى »[1].

وقال عز وجل : «قل إنما أنذركم بالوحى»[2]، والمراد بالسنة النبوية هو كل ماصدر عن النبى ، ﷺ ، من قول أو فعل أو تقرير أو صفة من صفاته ، وتأتى السنة النبوية فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر الثقافة الإسلامية وهى دليل شرعى واجب الاتباع .

قال تبارك وتعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا[3] وقال عليه الصلاة والسلام : «من رغب عن سنتى فليس منى »[4].

والسنة النبوية بيان للقرآن الكريم وتفصيل لمجمله وتأكيد لأحكامه قال تعالى : «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون »[5].

وترك السنة النبوية يعطل أحكام القرآن الكريم، وقد اشتغل المسلمون بالسنة فدونوا الحديث وانكبوا على حفظه وفقهه واستنباط الأحكام الشرعية منه فكانت السنة النبوية الشريفة منبعا للتشريع والثقافة .

ولذلك نجد فى كتب السنة من الأحاديث الدالة على أهمية العلم والثقافة

---

(١) النجم : ٣ ، ٤
(٢) الأنبياء : ٤٥
(٣) الحشر : ٧
(٤) رواه الترمذى ومسلم .
(٥) النحل : ٤٤

فمن ذلك قوله ﷺ في الترغيب في العلم وطلبه : «تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة ، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام[1] .

وعن أبي ذر قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلي ألف ركعة»[2] .

وفي هذا الصدد أيضا تأتي السنة لتحمل مزيدا من الإكرام والإجلال للعلم والعلماء ، فقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا ، أن النبي ﷺ قال : «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم»[4].

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»[5].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[6].

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري جـ ١ ص ٥٣ ، ٥٤

(٢) ابن ماجه جـ ١ ص ٧٩ (٣) رواه البخاري .

(٤) ابن ماجه جـ ١ ص ٨٩ (٥) رواه الترمذي .

(٦) ابن ماجه جـ ١ ص ٨١

وقال صلوات الله وسلامه عليه مشجعاً على طلب العلم : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[٢] .

وقال ﷺ فى فضل العلماء وشرفهم ومكانتهم عند الله عز وجل « يبعث الله العباد يوم القيامة ، ثم يميز العلماء فيقول : يا معشر العلماء إنى لم أضع علمى فيكم لأعذبكم إذهبوا فقد غفرت لكم »[٣] .

وهذا فى العلماء العاملين بعلمهم ، وقال أيضا صلى الله عليه وسلم : « يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد أدخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس »[٤] .

وفى رواية أخرى : « يبعث العالم والعابد فيقال للعابد أدخل الجنة ، ويقال للعالم أثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم »[٥] .

وجملة القول هو أن المسلم فى ظل الإسلام مدعو بإلحاح للاغتراف من معين العلم والمعرفة ، حتى يكون عضواً نافعاً لأمته والناس من حوله ،

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٥٣
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٥٤
(٣، ٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٦٠
(٥) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٦٠

وبذلك يجد نفسه ساعياً على خدمة مجتمعه أفراداً وجماعات ، فينال من الله عز وجل الأجر والثواب ، ويكون فى زمرة الطائعين والأبرار والمخلصين ، والعلماء العاملون يحبهم الله تبارك وتعالى بعد أن كتب لهم أنهم ورثة الأنبياء ، وأنهم موضع إحترام وتقدير العباد واجلالهم وأنهم فى الآخرة من الفائزين بما أعد الله لهم من الثواب والنعيم المقيم .

هذا قليل من كثير وقطرة من بحر مما جاء فى السنة النبوية الشريفة من تقدير العلم واجلال العلماء والمتعلمين حتى تبلغ بهم درجة رفيعة من الاعتبار والحظ الوافر الكريم ، كما أنها مرتبة عظيمة للعلم وأهله لم تبلغها أمة من البشر فى أى نظام من الأنظمة الأرضية ، ولا دعت لمثلها أية ملة من الملل والنحل .

وعلى ذلك فإن العلوم والمعارف على تفاوتها واختلاف صورها وأنواعها تشكل فى ثقافة الإسلام عنصراً هاماً ، وإن دل على شىء فإنما يدل على إهتمام الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالعلم والثقافة والعلماء والمتعلمين العاملين بعلمهم .

٣ — السيرة النبوية الشريفة :

لقد حظيت سيرة النبى ﷺ بما لم تحظ به سيرة نبى من الأنبياء ، أو عظيم من العظماء ، فقد هدى الله عز وجل قلوب المسلمين إلى تتبع كل ما صدر عن النبى ﷺ وتسجيله ، من حمله الرسالة وجهاده ، وغزواته ، وسراياه وتوحيد كلمة العرب .

ودراسة سيرة الرسول ، ﷺ وتفهمها والتثقف بها أمور واجبة على المسلمين ، لأنه منهج حياتهم ، كما أن حياة الرسول ﷺ كلها تشريع ، ومن هنا فالمسلمون مطالبون بالتأسى بمنهج نبيهم ﷺ والاقتداء بأخلاقه

وأعماله وتصرفاته قال عز وجل : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »[١] .

ومن هنا أدرك المسلمون من لدن الصحابة رضى الله عنهم قيمة السيرة النبوية فاتخذوها أساساً لثقافتهم ، فهذا سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه يعلم أبناءه سيرة الرسول ، ﷺ ومغازيه وسراياه ثم يقول لهم: « يا بنى، هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها » .

واستمر المسلمون فى دراسة سيرة الرسول ﷺ والتأليف فيها فقد ألف العلماء كتبا فى السيرة النبوية الشريفة على مدى العصور ، نذكر منهم : ابن هشام وكتابه السيرة النبوية ، ثم السيرة الحلبية[٢] ، وحياة محمد لمحمد حسين هيكل ، وفقه السيرة للشيخ محمد الغزالى وغيرهم كثير[٣] .

التاريخ الإسلامى :

يعتبر التاريخ الإسلامى سجل للأحداث والوقائع، التى حدثت وتحدث على مسرح الحياة الإسلامية منذ بعثة الرسول ﷺ إلى اليوم .

ولقد دون المسلمون تاريخهم ، وكان أول ما عنوا به سيرة نبيهم ﷺ ، ثم أخذوا يدونون الحوادث الإسلامية ، وأحوال المسلمين ، وعلاقاتهم بغيرهم من الأمم والشعوب والدول ، وما تبع ذلك من فتوح وأحداث .

ولقد كانت الطريقة المتبعة فى التأليف هى الرواية فقط كما فعل الإمام

---

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) لعلى بن برهان الدين المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ .

(٣) نظرات فى الثقافة الإسلامية د / أحمد نوفل ص ١٨

محمد بن جرير الطبرى فى كتابه المعروف « بتاريخ الرسول والملوك »
والتاريخ الإسلامى بما تضمنه من الحوادث والآثار التى تركها المسلمون
يعد واحداً من معارف الثقافة الإسلامية ، فمن خلال هذه الحوادث
والآثار يمكن أن نستفيد الشيء الكثير ، فتعرفنا على مواطن القـــوة
ومواطن الضعف ، وأسباب كل منهما ، والأمة عندما تدرس تاريخها
الماضى ، إنما تدرسه من أجل الحاضر ومن أجل المستقبل[١] .

• — التراث الإسلامى :

يعتبر التراث الإسلامى ، الذى خلفه المسلمون على إختلاف بيئاتهم
ومشاربهم على مر العصور منذ العهد النبوى إلى يومنا هذا مصدراً من
مصادر الثقافة الإسلامية .

والتراث الإسلامى تراث ضخم وعظيم يشهد على حضارة الأمـــة
الإسلامية وتقدمها على الأمم الأخرى فى فروع العلم المختلفة ، يوم أن
كان الغرب يعيش فى ظلمات العصور الوسطى ، فعندما انتقلت عاصمة
الملك إلى بغداد صارت عاصمة العلم والمدنية معاً ، وأخذ المنصور أيضا
ينشيء المدارس للطب والشريعة وتعلم العلوم الفلكية وأكمل حفيده
الرشيد ما شرع فيه ، وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة لتعليم العلوم
بأنواعها ، وجاء المأمون فوصلت به دولة العلم إلى أوج قوتها ، ونالت
به أكثر ثروتها ، ويقال أنه حمل إلى بغداد من الكتب المكتوبة بالقلم
ما يثقل مائة بعير ، ولا يسهل على كاتب إحصاء ما ترجم من كتب العلوم
على إختلافها فى دولة بنى العباس، وقد أخذت دولة الإسلام تعتنى بدور
الكتب عناية كبيرة ، حتى كان فى القاهرة فى أوائل القرن الرابع

---

(١) الثقافة والثقافة الإسلامية ص ٥٩ ، ٦٠ سميح عاطف الزين .

مكتبة تحتوى على مائة ألف مجلد ، منها ستة آلاف فى الطب والفلك لا غير ، ومكتبة الخلفاء فى أسبانيا بلغ ما فيها ستمائة ألف مجلد ؛ وكان فهرسها أربعة وأربعين مجلداً ، وقد حققوا أنه كان فى أسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية ، وكان فى هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة[١] .

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على عظمة التراث الإسلامى ، كما أن الثقافة والعلم والمعرفة كانت مكفولة للجميع لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، ولا بين سيدهم وعبدهم ، بل الكل سواء فى تلقى العلم والبحث عن المعرفة. وإذا انتقلنا إلى علماء المسلمين نجد أن لهم باعاً طويلا فى هذه العلوم والمعارف فقد تخصص كل منهم فى فن من الفنون أو فرع من العلوم .

ففى البصريات نجد أن الحسن بن الهيثم هو أول من وضع علم البصريات منذ حوالى ألف سنة ، الذى له الأثر العظيم فى الحياة المعاصرة ، ذلك العلم الذى يبحث فى سقوط الأشعة والضوء على الأجسام الثقيلة[٢] .

وفى الرياضيات نجد أن محمد بن موسى بن شاكر هو واضع علم الجبر بأمر المأمون العباسى فى القرن التاسع الميلادى وعنه أخذته أوربا ولا زالت تسميه باسمه العربى (الجبر) وأولاد موسى وهم محمد وأحمد والحسن هم الذين وضعوا المعادلات الرياضية ، وعلى هدى تلك البداية العربية للرياضيات كانت تلك المخترعات الهائلة كالصواريخ والأقمار والراديو وغيرها[٣] .

---

(١) الإسلام والنصرانية الإمام محمد عبده ص ٧٩ ، ٨٠
(٢) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة محمد الغزالى ص ٣٩٤
(٣) المرجع السابق ٣٩٤

ولنا أن نستأنس فى هذا الصدد بما قاله المستشرق الفرنسى موريس بوكاى : نحن مدينون للثقافة العربية فى الرياضيات فالجبر عربى وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النبات والطب (ابن سينا) إلى غير ذلك . لقد اتخذ العلم لأول مرة صفة عالمية فى الجامعات الإسلامية فى ذلك العصر كان الناس أكثر تأثراً بالروح الدينية ، مما هم عليه فى عصرنا ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا فى آن واحد مؤمنين علماء . كانت البلاد المسيحية فى تلك الفترة من القرون الوسطى فى ركود وتزمت مطلق فتوقف البحث العلمى[1] .

هذه شهادة من طبيب فرنسى يعترف بفضل الثقافة العربية وما قدمته لأوربا حيث كان لها الفضل الأكبر فيما هى عليه الآن من الرقى والتقدم والحضارة والمدنية . وما قام به المسلمون من دور عظيم فى تقدم هذه العلوم وكان لهم الفضل والسبق على علماء أوربا ، الذين كانوا يعيشون فى ظلمات الجهل والتأخر والضلال .

وفى الكيمياء نجد أن جابر بن حيان هو إمام الكيمياء ، ولذلك أعتمدت أوربا بعد نهضتها على كشوفه وترجمت كتابه (الاستتمام) ونقلته إلى اللغة اللاتينية عام ١٦٨٢ لتتعلم منه ما لم تكن تعلم . لقد أحدث علماء العرب ثورة علمية عظمى واكتشفوا الكحول وحامض الكبريتيك وحامض النتريك والبوتاس وملح النشادر ، وهم أول من استخدم الطرق الجديدة فى عمليات الكيميا . كالتقطير والترسيب والتصعيد ، وهم أول من اخترع الساعة الدقاقة والساعة المائية ، وقد أهدى الرشيد ساعة دقاقة إلى الإمبراطور شرلمان فكانت أعجوبة أوربا فى ذلك الوقت[2] .

---

(١) القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم ص ١٤١ للمستشرق الفرنسى موريس بوكاى

(٢) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالى ٣٩٤، ٣٩٥

لقد كانوا الأساتذة والمعلمين للغرب فى جميع العلوم . حيث شملت دراسات المسلمين العلمية ، الفلسفة وعلوم الرياضة والفلك والعلوم الطبيعية ، وكان لهم فى كل علم منها باع طويل ، وقد أدرك علماء الغرب أهمية هذه العلوم فأخذوها ودأبوا على بحثها وترجمتها ونشرت بواسطة المعاهد العلمية الحديثة ، واستفادوا منها الكثير فى نهضتهم الفكرية ، وتقدمهم العلمى والصناعى هذه جملة من معارف الثقافة الاسلامية المرتبطة بالكتاب والسنة ولقد كان لها من التأثير ما يعجز عن وصفه أدق الوصافين ، فقد أطلقت المواهب وفجرت الطاقات وطبعت حياة المسلمين بصورة فريدة ميزتهم عن غيرهم من الأمم فى العادات والتقاليد والأعراف وفى عباداتهم ومعاملاتهم وتصرفاتهم ، وفى كل شأن من شئون حياتهم ، وما ذلك بعجيب فهى ثقافة من غرس النبوة وثمار الايمان ، ثقافة قرآنية المصدر ، سنية التوجيه ، تاريخية النسب ، إسلامية الملامح والقسمات .

المبحث الثاني

خصائص الثقافة الاسلامية

للثقافة الإسلامية خصائص تتميز بها عن مثيلاتها من الثقافات الغربية والشرقية ، وذلك لأنها نابعة من القرآن الكريم كتاب الله الخالد ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ونابعة من السنة النبوية الشريفة المصـــدر الثانى للتشريع الإسلامى والمذكرة التفصيلية للقرآن الكريم ، ونابعة من التراث الإسلامى الضخم ، ذلك التراث الذى كان مصدراً وينبوعاً للثقافات الشرقية والغربية على السواء ، وهذا ما جعل الثقافة الإسلامية سليمة الاتجاه ، سامية الأهداف ، كريمة العطاء ، وفيما يلى أشير إلى بعض هذه الخصائص للثقافة الإسلامية :

١ — ثقافة ربانية :

بمعنى أن مصدرها الرئيسى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وهذا يجعلها بعيدة عن التناقض والضلال والإنحراف ، ويجعل إلتزام العمل بها ينبع من داخل النفس ، وهذا يعتبر من أعظم مفاهيم الإنضباط والسمو فى سير الحياة ، ويجعل الثقة بها مطلقة لا تتزعزع ، فهى السبيل الوحيد لسعادة الدارين والطريق الوحيد للنهضة الصحيحة[1] .

وهذه الخاصية تفتقدها الثقافات الأخرى ، قديمها وحديثها كالثقافة اليونانية والهندية والفارسية فى الماضى ، والثقافة الغربية والاشتراكية

---

(١) لمحات فى الثقافة الاسلامية عمر عودة الخطيب ٦٧ ، الثقافة العربية أنور الجندى ٩٦ ، مبادىء الثقافة الإسلامية فاروق النبهان ص ١٦ ، ١٧

فى الحاضر . فهى ثقافات ترتكز الواحـــدة منها على النظريات البشرية والفلسفات المحدودة ومرتبطة بقيود الزمان والمكان خاضعة لمؤثرات البيئة والظروف ، متأثرة بالأزمات النفسية والهزات الإجتماعية ، وهذه من شأنها أن تورث القلق والشقاء للإنسان كالهندوسية ، التى تفرض على معتنقيها إحراق الجسد وإغراقه بالماء ، والتردى من الجبال ، وإهلاكها بالتقشف والصيام ، وكالنصرانية فيما نشاهد من تمسك الرهبان وتشديدهم فى هجر الزواج والإنفراد فى الصوامع وترك طيبات الرزق وغير ذلك من الثقافات الأخرى ، إن مثل هـــذه الثقافات ليست جديرة بالحياة ولا بطول البقاء ، بل أجلها قصير فأحق الثقافات بالبقاء ما وجدت أحوالها متوسطة بين الشدة واللين ليجد كل واحد من ذوى الطباع المختلفة ما يصلح به حاله فى معاده ومعاشه وإن أحق الثقافات بالحياة ، هى التى تجمع بين الحديث فى الدين والحديث فى السياسة وشئون الملك والدولة، أى بين القوة الروحية والقوة السياسية والمادية ، وهذا ما تختص به الثقافة الإسلامية . فهـذه الثقافة تتجه إلى احترام الإنسان ومعاملة الناس على أساس من الحق والعدل والإحسان والتعاون والحب والود والإخاء[1].

٢ — ثقافة إيجابية وبناءة تدفع إلى الأمام وإلى التقدم والرقى ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وما اشتملا عليه من مبادىء وقيم وتوجيهات قد وفرت لهذه الثقافة معيناً لا ينضب من المقومات والأسس التى أصبحت مادة خصبة أضيفت إلى تراث العرب والمسلمين على مر العصور لتشكل فى النهاية ثقافة العرب الإسلامية[2] .

(١) معالم الثقافة الإسلامية عبد الكريم عثمان ٨ ، أضواء على الثقافة الإسلامية نادية العمرى ص٢٠

(٢) حول الثقافة الإسلامية فى المجتمع الإسلامى المعاصر مجلة الأزهر ١٩٧٧ طه محمد كسبه

وهى ثقافة معطاءة فهى مصدر لكل خير ، تحدث آثاراً طيبة ملموسة فى حياة معتنقيها ، فهى تدفع الإنسان إلى العلم والعمل والتخلق بالأخلاق الحسنة ، وتغرس فى نفسه التعاون والإيثار ، وتخرجه من الجمود الفكرى وتدفعه إلى التفكير العميق المستنير والتأمل والتدبر كما تدفعه إلى القوة والعزة .

وهذه الثقافة تشعر الإنسان الملتزم بها بضخامة مسئوليته وبأهميته فى الحياة الدنيا وأنه لم يخلق عبثاً ، فهو ذلك الإنسان الذى تراه مؤمناً عابداً ، عاملا مفكراً ، محباً للخير نزاعاً إليه . كارهاً للشر منفراً منه ، يتعاون على البر والتقوى ، ولا يتعاون على الإثم والعدوان[1] .

٣ — ثقافة إنسانية وعالمية :

لو نظرنا إلى الثقافة الإسلامية نجد أنها ثقافة إنسانية عالمية تنظر إلى الناس بمنظار واحد ، لا تؤثر فيه قومية أو عنصرية ذلك لأنها نابعة من الإسلام، ذلك الدين الذى جاء للناس أجمعين ولم يأت لقبيلة معينة أو بيئة خاصة أو بمجتمع بعينه ، ومن هنا كانت ثقافته عالمية لا تفرق بين جنس ولون وهذا مصداق قول الله عز وجل :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »[2] . وقال الرسول ﷺ : «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل

---

(١) أضواء على الثقافة الإسلامية ص ٣٥ ، لمحات فى الثقافة الإسلامية ص ٨٣

(٢) الحجرات : ١٣

لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى »[١] .

إن الثقافة الإسلامية ثقافة إنسانية عامة لا تفرق بين إنسان وإنسان صالحة لأن تكون ثقافة لكل إنسان بغض النظر عن لونه ودمه وموطنه فهى عامة لجميع البشر فى كل زمان ومكان فليست خاصة بقوم ولا محصورة بمكان ولا محدودة بزمان ، والإسلام يحارب كل دعوة عنصرية ، ويبرأ منها كالفارسية والبربرية والطورانية والفرعونية ونحوها ، فالدعوات العنصرية ما هى إلا معول هدم يفرق الناس ويقوض وحدة المسلمين.

وقد حذر الرسول ﷺ من مثل هذه الدعوات فقال: « دعوها فإنها منتنة »[٢] .

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: « ليس منا من دعا إلى عصبية »[٣].

ومن المعلوم أن الإسلام خاطب الإنسان منذ بعثة الرسول ﷺ، فقد أخبر الله عز وجل أن الرسول ﷺ مرسل إلى الناس أجمعين وفى هذا يقول جل فى علاه : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً »[٤] ويقول عز وجل : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[٥] .

هذا وقد كانت الدعوات السابقة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام

---

(١) الترغيب جـ ٤ ص٣٣
(٢) رواه الإمام مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه.
(٣) رواه أبو داود فى سننه عن جبير بن مطعم رضى الله عنه .
(٤) الأعراف : ١٥٨
(٥) سبأ : ٢٨

والرسل محصورة ومحددة بأقوام كل نبى أو رسول ، فكان كل نبى من الأنبياء يقول لقومه : « ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره »[1] .

أما خاتم المرسلين وحبيب رب العالمين فأمر أن يقول: «يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً »[2].

وأما خاصية العالمية فتعنى أن الإسلام رسالة يجب على الأمة أن تحملها إلى العالم أجمع لإنقاذه من الضلال والشقاء الذى يعيش فيه.

٤ — ثقافة الشمول والتوازن :

الثقافة الإسلامية ثقافة شاملة لم تتناول جانباً فى حياة الإنسان دون جانب ، بل عالجت جميع شئونه ولبت جميع حاجاته الفطرية، ونظمت جميع غرائزه وميوله ، فكانت مسئولية الإنسان مسئولية شاملة لأعماله كلها ، قال عز وجل : « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون »[3].
وإلى جانب ذلك فإنها ثقافة متوازنة فلم يكن لجانب أن يطغى على آخر فى الإنسان، فلم تهتم بالقيم الروحية على حساب القيم المادية ، بل وازنت بينهما ، فلا تلهى الإنسان تجارته عن ذكر الله عز وجل . ولا يمنعه ذكر الله تعالى عن ممارسة التجارة وغيرها من أعمال الحياة الدنيا ، فقد جمعت بين أمور الدين والدنيا قال عز وجل: « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك »[4] .

---

(١) الأعراف : ٨٥
(٢) الأعراف : ١٥٨
(٣) الحجر : ٩٢ ، ٩٣
(٤) القصص : ٧٧

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، وليس بخيركم من ترك آخرته لدنياه »[1] .

٥ — ثقافة التكامل والتناسق :

الثقافة الإسلامية أيضاً ثقافة متكاملة ، لم تترك أمراً من أمور الدنيا والآخرة ولا فعلا من أفعال الإنسان ولا تصرفاً من تصرفاته ولا اتجاهاً من اتجاهاته إلا أعطته حكمه الشرعى ، ووضعته فى ميزانه الحقيقى ، وجعلت كل ذلك مرتبطاً بالعقيدة الإسلامية برباط وثيق محكم قال تبارك وتعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء »[2] .

فهذا التكامل كان من خصائص هذه الثقافة ومميزاتها البارزة ، والتكامل أمر أساسى فى هذه الثقافة ، لأن الإنسان بغرائزه وحاجاته العضوية كل لا يتجزأ ، فمن الضرر البالغ معالجة جانب من شئون حياته وترك جانب آخر ، وإذا لم يكن النظام معالجا شئون الحياة كافة فإنه يجر إلى شقاء الإنسان ، ولذلك لا يجوز فصل جزء عن جزء من هذه الثقافة ولا يجوز أخذ بعضها وترك البعض الآخر ، فلا يجوز مثلا القيام بأداء الصلاة وترك الزكاة ، ولا ينبغى معاقبة السارق وترك شارب الخمر ، ولا ينبغى الإكتفاء بالعبادات وترك أحكام المعاملات ولا يجوز أداء الصيام وترك الصلاة ، كما لا ينبغى للمسلمة أن تؤدى فريضة الصلاة وتخرج متبرجة ، قال عز وجل : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون

---

(٥) رواه ابن عساكر وانظر مبادىء الثقافة الإسلامية ص ١٨ ، ١٩ ، معالم . الثقافة الإسلامية ص ٩٠

(٢) النحل : ٨٩

ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب »[1] .

والثقافة الإسلامية ثقافة متناسقة كما هى متكاملة ، فهى ثقافة منسجمة فلا يوجد فى الشريعة الإسلامية جانب يهدم جانباً ، ولا قيمة تعارض قيمة ، ولا حكم يعطل حكماً آخر أو يتناقض معـــه ويقف دون تنفيذه أو القيام به ، بل نجد كل حكم يؤيد الحكم الآخر ويدعمه ، فهى ثقافة منسجمة كل الانسجام فى كل جوانبها وقيمها وأحكامها ومظاهرها فلا تناقض فيها ولا تعارض .

إن الثقافة الاسلامية بهذه الخاصية تجعل الانسان يجمع بين الجهاد والمحراب ، وبين التجارة والسياسة ، وبين الإمارة والفقه ، وبين العزة والتواضع ، لذا فإن هذه الثقافة أحق بالبقاء وطول الحياة[2] .

٦ — ثقافة الحق والعدل :

وكان من ثمرات الثقافة الإسلاميـة لكونها صادرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتراث الإسلامى أن قدمت للناس عبر تاريخها المجيد مبادىء الحق والعدل والحرية والإخاء والمساواة فى نماذج بشرية واقعية من الخلفاء والعلماء والأمراء ، والعمال والأجراء ، ورجال التجارة والإقتصاد ، والخاصة والعامة ، فكان الحاكم المسلم يقول للرعية : « أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت الله فـــلا طاعة لى عليكم » أو يقول لهم : « إن رأيتم فى اعوجاجاً فقومونى » ، وكان المواطن المسلم

---

(١) البقرة : ٨٥

(٢) أنظر : لمحات فى الثقافة الإسلامية عمر عودة الخطيب ص٧٤ ، ٧٥ ، الثقافة العربية أنور الجندى ص٧٠

من عامة الناس يقول للخليفة أو الأمير من غير خوف ولا رهبة : « إتق الله فينا » أو يقول له : « ليس هذا المال من كدك أو كد أبيك » فلا يغضب الخليفة الأمير ولا يعاقبه بسجن أو قتل أو تشريد ، بل كان يشكر الله ويحمده أن جعل فى الأمة من يقوم الخليفة أو الأمير ويوجهه إلى الحقيقة وكان العـــالم المسلم لا يغشى قصور الخلفاء والأمراء . إلا بدعوة منهم ، وإذا سألوه عن حاجته نصحهم بتقوى الله فى أنفسهم وبالعدل فى رعيتهم ، ثم إذا أعطوه رد عطيتهم .

كما قدمت الثقافة الإسلامية للناس أحكاماً وآداباً لعلاقة الفرد بأسرته وعلاقته بحكومته ، وعلاقة حكومته به وبالمجتمع كله ، ثم بالحكومات الأخرى . ومن هنا كانت أحكاماً وآداباً إنسانية الروح والسلوك ، تهدف إلى إعطاء الحقوق وبذل الواجبات فى تعاون وإخاء وبر وتقوى وإحسان .

٧ — ثقافة القيم والمثل السامية :

إن الثقافة الإسلامية ثقافة مبنية على الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر ، وهذا الأساس للثقافة الإسلامية هو أقوى دافع للخير ، وأقوى باعث لوجود القيم والمثل العليا السامية فى الحياة ، وهذه القيم لها وزن واعتبار ، فهى لا تنحنى أمام المصـــالح الفردية ، والفوائد المادية ، ولا توزن بالمادة لأنه لا يوجد معيار للمقارنة توضع فيه القيم كالشرف فى كفة والمادة فى كفة ، وهذا معلوم لدى سائر المفكرين فى العالم ، الذين يبحثون فى الأخلاق والقيم فهم يجمعون على أن هذه القيم ، التى لا تحدثها المصالح لابد أن تكون مرتبطة بالدين والخلق . أما الثقافات الأخرى كالرأسمالية التى لا تعترف إلا بالدافع المادى للقيام بالأعمال ، وتستبعد أى دافع روحى أو معنوى لدى الإنسان ، فإنها تهبط بالإنسان إلى

درك لا يليق بإنسانيته فلا يوجد إلا المتاع المادى فلا قيم ولا مثل ولا اخلاق، فالثقافة الإسلامية بهذه الخاصية حقيقة وجديرة بالبقاء والحياة[1]

٨ — ثقافة الشخصية الإسلامية :

من أهم ماقدمته الثقافة الإسلامية ، أنها كونت للعرب، الذين خرج الإسلام من أرضهم ، وبلسانهم ، وعلى يد رجل منهم سيدنا محمد — ﷺ — ، شخصية ممتازة فريدة من نوعها ،لاشرقية ولا غربية، شخصية ذات عقيدة راشدة ورسالة ماجدة ، وخلق فاضل كريم ، وفكر مستقيم مستنير ، ولما كان هذا الفكر الخاص المتميز باتجاهاته ومجالاته . هو أساس الشخصية العربية المسلمة ، كان من حق كل مسلم غير عربى أن يمتاز به على الناس جميعاً : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »[2] .

ومن أجل ذلك نهى الرسول — ﷺ — عن تقليد المسلمين لغيرهم من الأمم والتشبه بهم فى أخلاقهم وعاداتهم ، ومن ذلك قوله — صلوات الله وسلامه عليه — « من تشبه بقوم فهو منهم »[3] ، « ليس منا من تشبه بغيرنا »[4] ، « خالفوا المشركين : احفوا الشوارب ، واعفوا اللحى،[5] « إن اليهود والنصارى لا يصبغون ، فخالفوهم »[6].

« وكان — ﷺ — يصوم من الأيام السبت والأحد ، ويقول :

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية عبد الكريم زيدان ص ٨٨ ، لمحات فى الثقافة الإسلامية عمر عودة الخطيب ٩٤

(٢) الأنبياء : ٩٢ (٣) رواه أبو داود فى سننه

(٤) رواه الترمذى فى سننه

(٥ ، ٦) الإمام مسلم فى صحيحه

« إنهما يوما عبد لليهود والنصارى ، وأحب أن أخالفهم »[١] وكان يأمر بالسحور ويقول : « تسحروا فإن فى السحور بركة، وإن اليهود والنصارى لا يتسحرون »[٢]

يقول الأستاذ المودودى : إن الاستعمار الغربى على الرغم مما صبه على المسلمين من البطش والتنكيل وما أنزله بهم من ضروب الفتن ، وما دمر من حكوماتهم ، واحتل من أراضيهم ، إلا أن هذه الأعمال الاجرامية كلها لا تساوى ظلماً ارتكبه الاستعمار الغربى حين فرض علينا أنظمته التربوية الحديثة الغربية عن معتقداتنا وتقاليدنا ، لقد حاول بهذه الطريقة أن ينشىء أجيـــالا تتنكر لشخصيتها الإسلامية ، وتبغض دينها وتبصق على تقاليدها ، وتنظر إلى تاريخها الحافل بالأمجاد نظرة احتقار وجعلها تقتنع بتفاهة ثقافتها الإسلامية ، وتؤمن بأن نظام حياتهم الفكرية والعملية أصبح بالياً لا يصلح للعصر الحاضر ، حتى رسخ فى أذهانها وقلوبها أنه إذا كانت هناك معارف فهى التى تدون فى الغرب ، وإذا كانت هناك حضارة فهى الحضارة التى أنشأها الغرب . وإذا كانت هناك أخلاق فهى التى يتحلى بها الغرب[٣]

وهى تعتبر جريمة كبرى ارتكبها الاستعمار الغربى فى إذابة الشخصية الإسلامية وضياعها من نفوس المسلمين وأخلاقهم وأعمالهم .

هذه بعض خصائص الثقافة الإسلامية ، التى تفردت بها عن سائر الثقافات الأخرى ، لأنها من الله العليم الخبير، فهى حق لا ريب فيه لذلك امتازت بشمولية التنظيم لجميع شئون الحياة مع القدرة على إعطاء الحلول

(١ ، ٢) البخارى فى صحيحه .

(٣) مجلة رابطة العالم الاسلامى ١٣٨٨ هـ بحث للأستاذ المودودى

لجميع المشاكل والواقع مع توازن وترابط وتكامل وتناسق، مع عطاء إيجابي خير ، ومع نظرة إنسانية ورسالة عالمية خيرة ، ومع قيم ومثل سامية دونها لا تكون الحياة إلا شقاء فثقافة هذا شأنها وتلك خصائصها تجعل منها القضية المصيرية للعالم أجمع. فضرورتها للحياة الكريمة العزيزة أشد من ضرورة الطعام والشراب ، لذا كان على المسلم الاستجابة إليها والعمل بها قال عز وجل « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون»[1]

---

(١) الأنفال : ٢٤

المبحث الثالث

الفرق بين الثقافة الاسلامية والثقافات الأخرى

أهمية الثقافة الإسلامية :

١ ــ هناك فرق شاسع جداً بين ثقافة الإسلام وغيرها من الثقافات الأخرى المخالفة للاسلام تمام المخالفة ، ذلك لأن الثقافة الإسلامية تدور فى فلك الإسلام بتعاليمه وعقائده ونظمه ، وتهتدى بهديه فى قيمه ومثله العليا وتصوراته ، وترتبط بأصوله وقواعده أيما ارتباط فلا تزيغ عن خطه الثابت الراسخ ولا تبعد عن صراطه المستقيم ، الذى لاعوج فيه ولا التواء ، إنها تستمد أصولها وآفاقها وملامحها من مبادىء الإسلام الواسعة المرنة التى تقوم على المصدرين الرئيسيين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ومن هذين المصدرين ينشأ الفكر الإسلامى بما ينطوى عليه من من العقائد الضاربة فى صميم النفس البشرية والتى يقوم عليها نظام الإسلام كله السياسى والاجتماعى والاقتصادى والأخلاقى ، وذلك كله نابع من الكتاب الكريم وسنة الرسول ــ ﷺ ــ .

كذلك تنبثق المصادر الأخرى من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مثل الإجماع والقياس والاستحسان وغيرها مما يشكل نظاماً إسلامياً عظيماً يعطى فيضاً زاخراً من القوانين والتفصيلات حتى يمضى الإنسان فى هذه الحياة وهو صاحب ثقافة واعية مستنيرة وصاحب فكر خصيب زاخر فيحيا فى الأرض رهيف الحس والمشاعر ، يقظ

القلب والضمير ،، رفيع الهمة والخلق ، كريم النفس والروح ، يحيا فى أجواء ساطعة من ثقافة الإسلام ، تلك الثقافة التى تؤتى ثمارها من الفكر النير وتقدم للدنيا خير كائن يدب على سطح الأرض وهو الإنسان .

هذا ماتعطيه الثقافة الإسلامية من منجزات بفضل العطاء الربانى الفياض ، الذى تنهل فيه هذه الثقافة وبفضل الأصول التى تقوم عليها

أما الثقافات غير الاسلامية فهى لاتعبأ بالدين إلا قليلا ، وتقف من الدين موقفين :

أما أحدهما :

فإنه تعتبر ألا علاقة للدين بالحياة البتة وليس للدين من فرصة أو متسع إلا فى بيوت العبادة فقط مع حرمان الحياة وواقع البشر من أية علاقة أو اتصال بالدين لا فى التشريع ، ولا فى التعامل ، ولا فى العلاقات أياً كانت ، وذلك ماذهبت إليه الحضارة والثقافة الرأسمالية المادية .

أما ثانيهما .

فإنه أشد من ذلك شذوذاً إذ يعتبر الدين ضرباً من الخرافة والأكاذيب فتجهر بصراحة بشعة بنكران حقيقة الألوهية أو النبوة ، وأن الحياة والكون قد وجد من غير إله موجد ، وذلك الذى ذهبت إليه الماركسية الشيوعية .

وأكبر دليل على ذلك ماجاءت به هذه الثقافات من مفاسد وويلات إنها لم تأت بخير ولم تجلب للبشرية غير ألوان الكوارث والهزات والمحن إنها ثقافات قد خالطها الفساد والانحراف حتى وصلت بالعالم إلى الهلاك والدمار ، ومن جملة ذلك الحرب المدمرة التى أتت وتأتى على الحضارة وكل منجزات الإنسان . وكذلك ماجاءت به من أمراض النفس والقلق واضطراب الأعصاب والمرارة والعقد النفسية ، إنها جاءت بكل ألوان

التموق والضياع والجريمة تلك هى ثقافة الحضارة والمدنية والتقدم، الثقافة الضالة، التى وضعت الفرد والمجتمع على أشكال بالغة الغرابة والشذوذ من حيث تقديس المال والجرى وراء الشهوات وحب المادة حباً جماً، حتى أن الإنسان ينشأ فى هـــذه البيئات المنتنة لايعيش إلا فى ظل الشهوة المحمومة ولا ينظر للحياة إلا بمنظار أسود دون التفات إلى أية اعتبارات أخرى وذلك كله بفضل الثقافة المنحرفة التى أظلت الأرض بظلها الثقيل البغيض النكد، والتى غشيت العالم بغشاء من الأنانية الممقوتة[1].

٢ — الثقافة الإسلامية قامت على التوحيد، فهى تتخذ الدين أساساً وقاعدة لهـا، بينما ترى الثقافات الأخرى أن الدين لا يعتبر جزءاً أساسياً من فكرها وثقافتها.

٣ — الثقافة الإسلامية تؤمن بالطابع الإنسانى، وترى أن قيمها إنما هى لخدمة البشرية جمعاء، بينما الثقافات الأخرى تؤمن بأن محتواها العلمى والأدبى والفنى والصناعى إنمـا يهدف إلى خدمة الإنسان الأوربى قبل غيره وعلى حساب غيره وليس إلى خدمة الإنسان بصفة عامة أومن حيث هو بشر.

٤ — الثقافة الإسلامية تؤمن بالحلول الأخلاقية، ولا تبرر الوسيلة عندها الغـاية، بل لابد للغـايات الشريفة من وسائل شريفة، بينما تؤمن الثقافة غير الإسلامية بحلول المشاكل والقضايا على قاعدة القوة وأسلوب الميكافيلية التى تنفصل فيه الأخلاق عن السياسة وعلى قاعدة الغاية تبرر الوسيلة.

٥ — تؤمن الثقافة الإسلامية بأن الضمير أساس العلم والحضارة،

---

(١) أنظر : دراسات فى الثقافة الإسلامية د/ أمير عبد العزيز ص ١٧، ١٨

بينما تقوم الثقافات غير الإسلامية على أساس انفصال الضمير عن العلم وسيادة المادة على الضمير .

٦ — تؤمن الثقافة الإسلامية أن للإنسان كرامة تعلو على المخلوقات جملة وترى له سيادة تحت حكم الله عز وجل ترفعه بالعقل وتكرمه بالإيمان بينما تصور الثقافة غير الإسلامية الإنسان بأنه عبد لغرائزه ونزواته . وأن العقل الباطن هو المسيطر فى توجيه حياته ، وبهذه النظريات أدخلت الإنسان إلى حظيرة الحيوان .

٧ — ترى الثقافة الإسلامية أن الناس سواسية ، وأنه لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ، بينما تعلى الثقافات غير الإسلامية العنصريات والأجناس والدماء ، وتحاول أن للبيض امتيازاً على الأجناس الملونة ، وتحاول بهذا الاعلاء أن تجعل لها حق السيطرة والقيادة(١) .

٨ — إن الثقافة الإسلامية تستند إلى تصور إسلامى أصيل قائم على دعائم ثابتة أولها المصدران الأساسيان وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ثم يضاف إلى ذلك الرصيد الضخم من الثروة الفقهية المبنية على الاجتهاد والاستنباط مع الاستفادة مما توصل إليه العقل البشرى من أنواع العلوم والأفكار النافعة المبرأة من الزيغ والهوى .

أما الثقافة غير الإسلامية فإنها تقوم على مجموعة من الآراء والأفكار والتصورات المشتتة ، وهى فى ذلك لا تضبطها أسباب من ضوابط محددة وبالتالى فإن هذه الثقافة يظل طابعها الانحراف والميل إلى الهوى وتظل كذلك سادرة مع رياح الفكر المتخبط فى الظلام .

---

(١) راجع : التربية وبناء الأجيال فى الإسلام أنور الجندى ص ٢٣٠ ، ٢٣١

٩ ـ الثقافة الإسلامية تؤتى ثماراً طيبة نافعة تتجلى فى الأفراد الصالحين ، ثم فى المجتمع المتماسك السليم من المفاسد والمنكرات ومن ألوان العقد والشذوذ والعياذ بالله .

أما الثقافة غير الإسلامية فإنها تجنح إلى الغلو حيث أنها لاتهتم بالروح وقد تنظر إلى الأديان كلها نظرة كارهة متنكرة فتنبذها من الحساب نبذاً ولاتهتم بها كما هو الحال بالنسبة الماركسية التى تقوم على المادية المتجردة من الروح تماماً والتى تنظر لكافة الأمور بمنظار الإلحاد الكامل والتنكر لحقيقة الألوهية[1] .

مما سبق يتضح لنا الفرق بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات الأخرى ، فالثقافة الإسلامية ثقافة من عند الله عزوجل تحقق العدل والمساواة والأمان للجميع ولاتفرق بين مسلم وغير مسلم ، بل ولا بين أبيض وأسود ، فهى تخلق مجتمعاً متساوياً متآخياً ، لامجتمعاً بعض أفراده سادة يشرعون وبعضهم عبيد محكومون يخضعون ويذلون ، فالناس جميعاً متساوون لافرق بينهم إلا بالعمل الصالح والتقوى لله تبارك وتعالى وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »[2] .

والإسلام وهو دين الثقافة وينبوعها دين عالمى جاء للناس أجمعين لايفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون وذلك مصداق قول الله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً »[3] .

---

(١) راجع : دراسات فى الثقافة الإسلامية د/ أمير عبد العزيز ص ١٩ ، ٢٠

(٢) الحجرات : ١٣ (٣) الفرقان : ١

ضرورة الثقافة الإسلامية :

فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، عصر الغزو الحضارى والثقافى ، والذى ترصد فيه البلايين من أجل هذا الهـــدف ، عصر المذياع والتليفزيون والصحافة ، عصر الصاروخ والنفاثة ، فى هـذا العصر يظهر بوضوح ضرورة الثقافة الإسلامية بالنسبة للفرد المسلم .

فليس من المعقول أن نغلق الأبواب على الشباب المسلم ، ونظن أننا من الممكن أن ننام مطمئنين ، وأن لصوص الفكر لن يستطيعوا إقتحام الأبواب ، إن الفكر يدخل فى هذا العصر مع الهواء ، ومع موجات الأثير ، ويسير معك فى السيارة ، ويقتحم عليك غرفة النوم من خلال الراديو أو التليفزيون أو الفيديو عارضاً نفسه بأكثر الألوان تشويقاً وجذباً وإثارة[1] .

وذلك أمر عظيم الخطورة يستدعى مزيداً من الاهتمام بالثقافـــة الإسلامية حتى يتحقق للبشرية الإنسان السوى السليم ، ويتحقق للأرض المجتمع الكريم الصالح ، الذى لايتخلله تفكك ولا اضطراب ، المجتمع الذى تغمره أسباب التعاون والود ، والذى يقدم للإنسانية مثالا يحتذى فى سلامة النفس والتكوين وفى صفاء العيش والحياة .

وأهمية الثقافة الإسلامية وضرورتها ترجع إلى أنها ثقافة ذات عناصر ثابتة متينة تؤلف فى مجموعها خير ثقافة زاخرة واعية مستنيرة تؤتى ثمارها فى الأرض على أحسن ما يكون عليه العطاء وذلك بوجود الإنسان المتكامل الصالح الخالى من الخلل والنقائص والعيوب .

---

(١) ثقافة المسلم فى وجه التيارات المعاصرة / عبد الحليم عويس ص ٢٠

إن ثقافة الإسلام تتسم بالاتساع والشمول بحيث تحتوى كافة المقومات التى تنهض عليها الثقافة الرائعة السليمة ، فالثقافة الإسلامية ليست كغيرها من الثقافات الأخرى ، التى تفتقر إلى كثير من الدعائم والمقومات الهامة الضرورية التى تستند عليها .

إن ثقافة الإسلام متكاملة بمعنى أن أجزاءها ومقوماتها يكمل بعضها بعضاً ، وهى كذلك تتصف بالمتانة والعمق فلا تتفق مع الضعف والسطحية بأية حال لأنها تدور فى فلك الإسلام برسوخ عقائده وروعة تصوراته وشمول مبادئه ونظمه[1] .

ومن هنا يجب علينا أحياء هذه الثقافة وتجديدها وبث الروح فيها ، بعد أن أصابها بطش الغزو الفكرى والثقافى ، حتى نستطيع مواجهة هذا الخطر ، المتمثل فى الغزو الفكرى الغربى والوقوف أمامه بكل قوة ، حيث أن أصحاب هذا الغزو يريدون محو الشخصية الإسلامية ، وتدمير المجتمع الإسلامى وتحطيم الأمة الاسلامية وتفريغها من مضمونها الروحى والاسلامى حتى تظل بلاثقافة وفكر وفى نفس الوقت خاضعة لأفكار هؤلاء وثقافتهم .

فالثقافة الاسلامية هى الدرع الواقى والحصن المنيع ، الذى يمنع عنا أخطار المجابهة الفكرية والتحدى الحضارى ، الذى يهدد كيان أمتنا وشخصيتها ، ومن واجب كل فرد منا أن يتحسس مخاطر هذه الظاهرة فيحمى نفسه وأسرته ومجتمعه من ذلك الخطر . الذى تحرص الحضارة المعاصرة على ترسيخه فى أذهاننا . متمثلا فى توهين القيم الروحية والفكرية التى تقوم عليها ثقافتنا مستخدمة فى ذلك جيشاً جراراً من المستشرقين ،

---

(١) دراسات فى الثقافة الاسلامية د / أمير عبد العزيز ص ١٢ ، ١٣ .

الذين يلبسون مسوح الرهبان والقديسين فيطوفون الأقطار الإسلامية، ويحملون مشاعل المحبة والسلام والوئام فى الوقت الذى ينخرون السوس فى عظام هذه الأمة، ليتساقط هيكلها العظمى بعد حين، وليكون عاجزاً عن مقاومة غزوهم الفكرى[١] .

ومن هنا فالواجب علينا إحياء التراث العربى والإسلامى، وإذكاء الوعى لدى الجماهير المسلمة وتقوية شخصيتهم الإسلامية وتنميتها وحثهم على التمسك والاعتزاز بهذه الشخصية التى تحفظهم من الضياع والتفتت والتمزق والشتات .

أثر الثقافة فى حياة المجتمعات :

تعتبر الثقافة من أهم ما يميز المجتمع الإنسانى عن غيره من المجتمعات الحيوانية، كما يميز المجتمعات الإنسانية بعضها عن البعض الآخر، وتاريخ الشعوب العظيمة إنما يستمد عظمته من ثقافة الشعب ومعرفته ووعيه، ولا يمكن أن نتصور تاريخا بلا ثقافة، فالشعب الذى يفقد ثقافته يفقد تاريخه، لأن الثقافة جزء من الشخصية فإذا ذهبت الثقافة فقد اضمحلت الشخصية وتاهت فى أرض الله، كما أن الثقافة تسبغ على الحضارة سمتها الخاصة، ومن هنا نستطيع أن نتبين أثر الثقافة فى صنع شخصية الأمم[٢].

ومن الواضح أن ثقافة أى أمة من الأمم تعتمد أساساً على عقائدها وقيمها الأخلاقية والإجتماعية التى تكونت عليها وسارت بها، وأنها تقوم فى الأساس على المثل العليا، وتنطبع بطابع ذاتيتها الخاصة .

---

(١) مبادىء الثقافة الإسلامية د/ محمد فاروق النبهان ص ٧٧
(٢) قيم حضارية فى القرآن الكريم توفيق محمد سبع ج ١ ص ٥٢٥٤، ٥٢٠ .

ولذلك أسهم القرآن الكريم فى بناء شخصية الأمة العربية والإسلامية ولون حضارتها وصبغها بالصبغة الربانية ، لأنه مصدر ثقافتها وأساس علومها ومعارفها ولذا كان هو النبع السخى الذى أغدق الخير بلا حدود وجعل لها طابعاً حضارياً له خصائصه النبيلة ومقوماته الأصيلة[1] .

ومن هنا فإن القرآن الكريم يمنحنا الثقافة الأصيلة ، التى تتفاعل مع نفوسنا وتتجاوب مع أرواحنا ومشاعرنا ، فياحبذا لو أصغينا إليه بوعى كامل وأقبلنا عليه بصدق ، وطبقنا آياته وأحكامه ، لقد كان العرب قبل الإسلام مجتمعا بلا ثقافة فعاشوا بلا تاريخ ولما جاءتهم الثقافة الإسلامية جعلت منهم قادة وملوكا بعد أن كانوا رعاة غنم ، قادة يقودون الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم ، ويعلمونهم الحكمة والموعظة الحسنة وكل هذا بفضل الثقافة الاسلامية الهادية إلى أحسن طريق .

---

(١) المرجع السابق حـ١ ص ٥٢

المبحث الرابع

التحديات التى واجهت الثقافة الاسلامية

مدخل :

إذا نظرنا إلى الإسلام كدين له عقيدة ونظم وأحكام نجد أنه واجه تحديات منذ فجر التاريخ من مخالفيه ومعانديه ، فقد واجه تحديات من المشركين فى مكة المكرمة ، كما واجه تحديات من اليهود فى المدينة المنورة وعندما فتحت الأمصار بواسطة المسلمين . وانتشر فيها الإسلام واجهت ثقافة الإسلام تحديات وأفكاراً شعوبية إلحادية ، وفلسفات وثنية مثل الفلسفة الفارسية واليونانية وغيرها ، ولكن الإسلام بقوته وشموخه وعظمته وثقافته المتينة الراسخة الثابتة ثبت أمام هذه التحديات وانتصر عليها ، حيث كان المجتمع الإسلامى فى ذلك الوقت يفهم الإسلام ويعيه جيداً ، ويدرك تماماً ما لهذه الأفكار والإتجاهات من خطورة عظيمة ، على الثقافة والفكر الإسلامى ، فقد كان الفلاسفة والزنادقة يطرحون الأفكار والإتجاهات وما تحمله من شبهات لتضليل وتشويه الفكر والثقافة الإسلامية وإفساح المجال للإلحاد ونشر الإباحية ، غير أن المجتمع الإسلامى تصدى لهم ، وأخذ يكشف زيفهم ويبين ما انطوت عليه قلوبهم من كيد وحقد وضغينة ، ولكنها لم تستطع أن تنال من الإسلام وثقافته شيئا عبر العصور .

والذى نلاحظه أن أخطر هذه التحديات تلك التى تواجهها الثقافة الإسلامية اليوم ، وهى تحديات تتمثل بالمواجهة السافرة حينا والمستترة

أحيانا ، هـــذا التحدى الذى يتمثل حاليا بالغزو الفكرى الغربى ، وبالنزعات الجاهلية قبل الإسلام كالفرعونية . والفارسية ، والفينيقية ، والرومانية والإغريقية .

الغزو الفكرى الغربى :

إن الغزو الغربى لبلاد المسلمين ليس جديداً ، وإنما الجديد فيه طبيعته وأسلوبه فقد غزا الفرنجة ديار المسلمين فى الماضى غزواً عسكرياً مسلحاً ، وخاض المسلمون معهم حرباً طاحنة عرفت بالحروب الصليبية ذاق فيها الفرنجة مرارة الهزيمة والخذلان والعار ، فقد دمرت جيوشهم ، وعادت فلولهم إلى أوربا تجر أذيال الخيبة ، وقد رأى الغربيون أن القضاء على الإسلام أو تحويل المسلمين عن دينهم لا يمكن أن يأتى عن طريق القوة المادية والغزو المسلح ، وأدركوا فوق هذا أن المسلمين قد خرجوا من هذه الحروب وهم أقوى ما يكونون فقد عادت إليهم وحدتهم بعد تمزق ، وأصبحوا قوة لا تقهر ، وأدركوا كذلك خطأ تقديرهم ، ذلك أن أوربا حين لاقت المسلمين فى ساحة القتال كانوا يعتمدون على أمرين لا ثالث لهما :

الأول : اعتمادهم على النصارى الذين كانوا يسكنون العالم الإسلامى فظنوا أنهم سيكيدون للمسلمين وسيكونون عونا لهم عليهم .

الثانى : أنهم كانوا يعتمدون على كثرة عددهم ، وعظم قوتهم ، فظنوا أنهم إذا هزموا المسلمين أول هزيمة أخضعوهم إلى الأبد .

ولكن كم كانت دهشتهم عظيمة حين رأوا فى أثناء الحرب أن النصارى من رعايا الدولة الإسلامية وقفوا إلى جانب المسلمين وحاربوا معهم ، ولم

تؤثر فيهم الدعايات المضللة ، لأنهم كانوا يعيشون مع المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

وكانت دهشة الغربيين أعظم حينما رأوا أن الأمر الثانى لم يحقق ظنهم فبالرغم من إقامتهم الممالك والإمارات فى بلاد الشام ، وبالرغم من إرتكابهم أشد الفظائع ضد المسلمين استطاعوا فى النهاية أن يتغلبوا عليهم ويخرجوهم من البلاد وبقى المسلمون يتربعون على عرش السياسة الدولية :

وبعد بحث وتنقيب قادتهم التجارب والدراسات إلى أن سر قوة المسلمين تكمن فى الإسلام ، فعقيدته هى منشأ هذه القوة العظيمة فى المسلمين وأحكامه بالنسبة لغير المسلمين ضمنت حقوقهم فكان أن نتج هذا التماسك بين الرعية ، ولهذا عتبر الغربيون أن الوحدة الإسلامية خطر على أوربا وأن الإسلام وحده هو العنصر القوى الذى يحول دون إخضاع العالم الإسلامى[1] .

وهـذا ما اعترف به سياسيو الغرب وكبار مبشريهم فهذا جلادستون رئيس وزراء بريطانيا يقول : مادام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان[2] .

ولذا وجد الغربيون أن خير طريق لغزو العالم الإسلامى وإخضاعه هو سلوك الغزول الفكرى الذى يجب أن يسبق الغزو المسلح فوضعوا

---

(١) الإسلام وثقافة الإنسان ص ٤٢٧ وما بعدها باختصار .
(٢) أضواء على الثقافة الإسلامية نادية العمرى ص ١٦٧ .

الخطط وحاكو المؤامرات للغارة على الأفكار والمفاهيم الإسلامية .
وعلى كل ما له صلة بالإسلام حضارة وثقافة وجعلوا نصب أعينهم هدفين لتحقيق ذلك :

الأول : هدف عاجل لابد من تحقيقه فى أقصى سرعة ، وهو هدم دولة الإسلام والقضاء عليها ، وقد سلكوا فى تحقيق ذلك طريق تجزئة الأمة الإسلامية وتفتيتها ، فأثاروا النعرات الإقليمية والقوميات ، وجندوا لذلك أعواناً لهم داخل ديار المسلمين ، ومن خلال ذلك تمكن الغربيون من تجريد جيوشهم لإحتلال ديار المسلمين وتمزيقها والقضاء على دولة الخلافة .

الثانى : هدف آجل يقوم على الغارة ، على حضارة الإسلام وثقافته سعيا وراء هدم عقائده وأفكاره ، ونشر الأفكار الغربية بدلا عنها ، ولأجل أن تتحقق لهم هذه الأهداف أكبوا على دراسة المعارف الإسلامية ، فلم يتركوا أصلا من أصول الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية ولا فرعا من فروعهما إلا ووجهوا إليه سهامهم المسمومة ليخرجوا جيلا يتنكر للحضارة الإسلامية ويؤمن بحضارة الغرب وثقافته ويصبح هواه تبعاً لما يريده الغرب ، ومن ثم يصبح هناك جيل من أبناء المسلمين حاقد على عقيدته متنكر لها ولثقافتها وحضارتها ، غربى فى فكره وثقافته[1] .

---

(١) المفهوم والتجربة محمد على ضناوى ص ١٥٠

مؤسسات الغزو الفكرى الغربى :

اعتمد الغرب فى تحقيق أهدافه الثقافية والفكرية والحضارية على مؤسسات خطيرة تحمل على عاتقها لواء الغزو الفكرى متمثلة فى التبشير والاستشراق والاستعمار والتغريب ، وهذه المؤسسات ترتبط فيما بينها ارتباطا وثيقا ، وتعمل من أجل مخطط واحد ، فالأهداف واحدة من حيث النتيجة وإن اختلفت الأساليب فى بعضها عن البعض الآخر ، وهذه الأهداف ملخصها القضاء على الإسلام كله : عقيدة ونظاماً واخراج المسلمين من حظيرته ، وحمل المسلمين على تقبل فكر الغرب وثقافته وفق ماتمليه عليه وجهة نظر الحضارة الغربية ، فلايرى المسلم بعد ذلك ضرورة إلى العودة للاسلام واستئناف الحياة الإسلامية[1].

ومؤسسات الغزو الفكرى الغربى هى :

(أ) التبشير :

يعتبر التبشير المؤسسة الأولى والهامة ، التى اعتمد عليها الغرب فى قيامه بالغزو الفكرى ، والغربيون على أى وضع كانوا سياسيين أم رهبان كنيسة لايبالون فى تسخير أى شىء فى سبيل سياستهم حتى ولو كان الدين نفسه ، والسياسة هذه معناها : استعباد الغرب للشعوب[2].

ومن هنا أخذ الغرب بمؤسساته السياسية والإستشراقية الكنسية فى اعداد المبشرين والعمل على تسهيل مهمتهم فى ديار الإسلام فالمبشرون

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين ص ٤١ بتصرف مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١

(٢) التبشير والاستعمار مصطفى خالدى وعمر فروخ ص ٤٨ ، ٥١

فى نظر الاستعمار هم عيونه ، التى يرى بهـــا أحوال المسلمين الاجتماعية والفكرية والاقتصادية وغيرها ، وأيضا هم الذين يزرعون الشكوك فى نفوس المسلمين ، ويعملون على زعزعة عقيدة المسلمين وينشرون بين صفوفهم كل أسباب الفرقة والنزاع والعداوة والصراع حتى تضعف قوة المسلمين وتذهب ريحهم، ومن هنا يسهل على الاستعمار وجيوشه احتلال ديار الاسلام والقضاء على المسلمين[1].

الغزو الفكرى عن طريق التبشير :

عن طريق التبشير وباسم العلم والإنسانية والرحمة والمساواة أخذت أوربا تغزو العالم الإسلامى، تمهيدا لاستعماره واحتلاله كله ، ومن هنا رصدت لهذه المهمة الضخمة الأموال الكثيرة والخبرات النادرة ، وبعد جهود متواصلة استمرت سنين طويلة ، انتشرت جمعيات التبشير فى مختلف البلاد الإسلامية ، وكان معظم هذه الجمعيات انجليزية وفرنسية وأمريكية وعن طريقها تغلغل النفوذ الغربى فى البلاد الإسلامية ، وأصبحت هذه الجمعيات مع مرور الزمن هى التى توجه العصبيات والثمرات، كما كان لها السيطرة على المتعلمين من المسلمين وتوجيههم وجهة غربية، فكانوا نقمة على الأمة الإسلامية ، حيث شاركوا المبشرين فى تنفيذ مخططاتهم الخبيثة وتحقيق أهدافهم العدوانية[2].

---

(١) الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى أنور الجندى ص ٢٩٢ ، حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر أحمد عبد الوهاب ١٢٧

(٢) الإسلام وثقافة الانسان ص ٤٢٧ بتصرف .

مراكز التبشير ومنابعه :

فى أواخر القرن السادس عشر أقام الغربيون مركزا قويا للتبشير فى مالطة ، ومن هذه المنطقة مدوا نشاطهم التبشيرى إلى بلاد الشام ثم سائر العالم الاسلامى، ومن أجل ذلك أقاموا المدارس والجامعات والمستشفيات باسم الرحمة والانسانية والعطف ، وبنو الكنائس والأديرة باسم العبادة والزهد والصلاة ، وأنشأوا الأندية والمراكز والجمعيات باسم الترويح عن النفس وتوطيد الصداقة ، وكان المبشرون يأتون من فرنسا وبريطانيا وألمانيا وغيرها من الدول الأوربية وكذلك من أمريكا ، ومازالت هذه الدول ترسل برهبانها وقساوستها إلى بلادنا ، مع العلم أنهم كانوا يضعون فى حسبانهم أن العمل التبشيرى وخاصة فى بلاد الاسلام يحتاج إلى تدريب ودراية وكفاية وقوة وصبر على المكاره ، ومن هنا كان المبشر لا يتسلم العمل إلا بعد الاختبار الدقيق[١] .

وسائل التبشير :

لو نظرنا إلى الاستعمار نجد أنه لم يترك وسيلة من الوسائل يمكنه أن يحقق بها أهدافه إلا واتبعها وأخذ بها وتمسك بها منها :

١ — التعليم : التعليم ميدان فسيح اتخذه التبشير وسيلة من وسائله فى تحقيق أهدافه ، لذلك أنشأ المبشرون المدارس على اختلاف مراحلها كمدرسة المطران والفرير والمدارس الأرثوذكسية وغيرها كثير، كذلك أنشأوا الكليات الجامعية فى مراكز بلدان العالم الاسلامى كالكلية السورية الانجيلية ، التى أقاموها فى بيروت عام ١٨٦٥ م وهى التى تسمى

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٤٧ بتصرف .

الآن الجامعة الأمريكية ، ثم أنهم لم يكتفوا ببيروت بل تعداها إلى غيرها فأقاموا كلية بالقاهرة وأقاموا كلية روبرت فى استانبول وكلية لاهور وكلية غوردن فى الخرطوم وإلى جانب ذلك كله الجامعة اليسوعية فى بيروت[1] .

وقد أيقن المبشرون أن التعـليم هو أحسن وسيلة فى التحكم فى المسلمين.

يقول المبشر الأمريكى ستيفن بتروز رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت ١٩٤٨ — ١٩٥٤ : إن المبشرين قد خابوا فى هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات ، يكفى أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة أوربية، ثم يقول: ولقد برهن التعليم على أنه أفضل الوسائل التى استطاع المبشرون أن يلجأوا اليها فى سعيهم لتنصير سوريا ولبنان[2].

إذن هناك هدف مباشر وغير مباشر ، فالهدف المباشر هو تنصير المسلمين أفواجا وجماعات وهو هدف يسعى من أجله كل المبشرين ، والهدف غير المباشر وهو نشر الفكر الثقافى الغربى بين المسلمين، واظهار الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية بمظهر التخلف والرجعية والجمود ، وقد اعترف المبشرون أن عملهم قاصر على زعزعة عقيدة المسلمين لأنهم عجزوا عن اكتساب المسلمين إلى صفوف النصرانية ، وهذا ماقصده بتروز بالتنصير وهو تحقيق أهداف التبشير باثارة النعرات والتشكيك فى عقائد المسلمين .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٤٧ ، ٩٠

(٣) المصدر السابق ص ٤٦ ، وأنظر حقيقـة التبشير بين الماضى والحاضر ص ١٦٦ أحمد عبد الوهاب .

٢ — المكتبات والطباعة والصحافة :

يدرك المبشرون ما للمكتبات والطباعة والصحافة من أهمية عظمى وأثر قوى فى إنقل أفكارهم وآرائهم وقيمهم ونشرها فى أوساط المسلمين، ومن أجل ذلك سارعوا فى إنشاء المكتبات ومراكز المعلومات، وأسسوا المطابع واستخدموا الصحف والمجلات وسائر أنواع المطبوعات كالأناجيل[١] .

٣ — الجمعيات :

تعتبر الجمعيات وسيلة هامة من وسائل التبشير، ولهذا أهتم المبشرون بتأسيس هذه الجمعيات على مختلف أنواعها، كجمعية الفنون والعلوم والجمعية العلمية السورية، وأخطر هذه الجمعيات على الإطلاق : الجمعية السرية التى أسسها فى بيروت عام ١٨٧٥ خمسة من الذين تلقوا العلوم فى الكلية السورية الإنجيلية التى يطلق عليها الآن الجامعة الأمريكية، وعن طريق هذه الجمعيات تمكنت أوربا من القضاء على الخلافة العثمانية وبالتالى تمزق العالم الإسلامى واستطاعت أوربا من خلال هذا التمزق أن تبسط نفوذها السياسى والثقافى والعسكرى على بلدان العالم الإسلامى[٢] .

٤ — التطبيب :

ومن الوسائل الهامة أيضا، التى إستخدمها التبشير فى نشر فكره وثقافته التطبيب، وهو فى عرف المبشرين يتركز فى إستغلال آلام البشر،

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٧، التبشير والإستعمار ص ٢١٠

(٢) يقظة العرب : تاريخ حركة العرب القومية جورج أنطونيوس ١٤٩ بتصرف .

ولذلك إتخذ المبشرون الطب وأنشأوا المستشفيات والعيادات الطبية والمستوصفات واتخذوها شعاراً يقتربون تحته من المرضى[١] .

وتحرص مؤتمرات التبشير على أن تكون توصياتها وقراراتها مؤكدة لخطورة إستخدام العلاج الطبي فى التبشير ، تقول المبشرة:(إيراهارس) طبيبة إرسالية التبشير فى طرابلس الشام فى مؤتمر ١٩٠٦ الذى عقد فى القاهرة فى بيت أحمد عرابى باشا يجب على طبيب إرساليات التبشير أن لا ينسى ولا فى لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شىء ، ثم هو طبيب بعد ذلك وتنصح الطبيب الذاهب بمهمة تبشيرية فتقول : ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن من واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه[٢] .

وهكذا حول المبشرون الطب إلى وسيلة خداع واستغلال للمرضى وأصحاب الآلام لكى يصلوا من خلالها إلى عقولهم لفتنتهم عن دينهم وزعزعة العقيدة فى نفوسهم حتى يخرجوهم من حظيرة الإسلام أملا فى تنصيرهم .

● — العمل الإجتماعى :

يعتبر العمل الإجتماعى مجالا من المجالات الحيوية الهامة بالنسبة للتبشير ، فعن طريق هذا العمل إتصل المبشرون بالمسلمين ، وعاشوا فى وسطهم يبثون ما يشاءون من آراء وأفكار وقيم واتجاهات ، ومن أجل تحقيق هذا القصد وتأكيده أسسوا النوادى والمراكز الخاصة للتبشير ،ونظموا

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٤٩

(٢) حقيقة التبشيرين الماضي والحاضر ص ١٥٩ ، التبشير والاستعمار ص ٦٣

المخيمات الكشفية للفتية والفتيات ، وأسسوا جمعية الشبان المسيحيين ، وجمعية الفتيات المسيحيات زيادة فى التمويه والحذر والإحتياط، وبيوت الطلبة ويقولون عنها : إن هذه البيوت يجب أن تكثر حتى يمكن أن تجتذب هؤلاء الطلاب إلى مملكة المسيح، كما أسسوا كذلك جمعيات تحت شعار البر والإحسان ، ويقول زويمر كبير المبشرين فى تعريف الإحسان: إستخدام الصدقات لا كتساب الصابئين[١] .

وأى إحسان هذا وأى بر هذا إن الإحسان برىء منهم ومن أمثالهم الذين يظهرون الرحمة ويبطنون العذاب والغدر والحقد والحسد والكراهية ولو نظرنا إلى المبشرين نجد أنهم ما كانوا يوماً ما محسنين على الإطلاق بل إنهم إتخذوا الإحسان وسيلة دنيئة للوصول إلى أهدافهم التبشيرية الوقحة والاستعمارية البغيضة ، ولذلك قلما وثق المسلمون بالمبشرين وبأعمالهم الإجتماعية وجمعياتهم الخيرية لأنها فى حقيقتها وسيلة إلى تبشير دينى هو بدوره وسيلة أخرى إلى الإستعمار بأنواعه[٢] .

(ب) الإستشراق :

يعتبر الاستشراق مؤسسة هامة من مؤسسات الغزو الفكرى ، التى تهدف إلى تعريف الغرب بنقاط القوة فى العالم الإسلامى لهدمها ، ونقاط الضعف للدخول منها إلى الكيد للإسلام والطعن فيه ،ولا يعرف بالضبط من هو أول غربى عنى بالدراسات الشرقية ، ولا من هو أول مستشرق ، ولا فى أى وقت بدأ الاستشراق .

إلا أن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس فى إبان عظمتها ومجدها ، وتثقفوا فى مدارسها وترجموا القرآن الكريم والكتب

(١،٢) التبشير والاستعمار ص ١٣٥ ، ١٩٩ بتصرف .

العربية إلى لغاتهم ، وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم ، وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات ، ولما عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم ، نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم،ثم أسست المعاهد للدراسات العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية وظلت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب ، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون .

وفى القرن الثامن عشر وهو العصر الذى بدأ فيه الغرب إستعمار العالم الإسلامى ظهر الاستشراق بصورة أوضح ، وبدأ عدد من علماء الغرب ينبغون فيـــه ، ويصدرون لذلك المجلات فى جميع الممالك الغربية ، وقد ساعدهم إستعمار الغرب لبلاد المسلمين ، فى الحصول على المخطوطات العربية الإسلامية ، إما بشرائها بثمن بخس من أصحابها الجهلة أو سرقتها من المكتبات العامة ، ونقلها إلى بلادهم ومكتباتهم حتى بلغت فى أوائل القرن التاسع عشر ٢٥٠ ألف مجلد ما زال يتزايد حتى اليوم[١] .

ومن هنا أخذت الدوائر السياسية فى الدول الغربية تتبنى الاستشراق كمؤسسة من مؤسسات الغزو الفكرى وتمده بكل معونة للتفرغ للدراسات الإسلامية والعربية .

والاستشراق يعنى : الدراسات التى يقوم بها الغرب لعقيدة الشرق الإسلامى وحضارته ولغاته وآدابه وتاريخه وعاداته وتقاليده ونحو ذلك ويقال لمن يشتغل بهذه الدراسات من أهل الغرب مستشرقا[٢] .

---

(١) أنظر الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق د / عبد الغفار عزيز ص ٢٧٤ موضوع الاستشراق دوافعه وأغراضه .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن حسن الميدانى ص٨٣، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د / محمود زقزوق ص ١٨

إتجاهات المستشرقين : —

أى دارس للاستشراق والمستشرقين وما صدر عنهم من مؤلفات وما قاموا به من نشاطات يلاحظ أن أهم ما عنى به المستشرقون هو الإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية ، ثم يتبين القاعدة التى أقاموا عليها دراساتهم والإتجاهات التى سلكوها فى ضرب الإسلام وتشويه صورته .

وتتخلص هذه الإتجاهات فيما يلى : —

١ — إفساد العقيدة الإسلامية وإغراقها فى متاهات التشكيك والإرتياب وفى هذا المجال أدعوا أن القرآن الكريم من تأليف محمد — ﷺ — وأنه استقاه من التوراة والإنجيل ، كما أن شريعته مستقاة من التلمود ، والفقه الرومانى وما إلى ذلك من مزاعم وتحريفات .

٢ — التشكيك فى صحة رسالة النبى — ﷺ — ومصدرها الإلهى وإنكار الإسلام كدين من عند الله تعالى وادعاء أنه ملفق من الديانتين اليهودية والنصرانية .

٣ — طرح الأفكار والنظريات المناهضة للإسلام ، وفى هذا المجال شهد العالم الإسلامى النظريات الفكرية الفاسدة ، كنظرية النشوء والإرتقاء وهى المعروفة بنظرية دارون ، ونظرية التفسير المادى للتاريخ وهى المعروفة بنظرية ماركس ، ونظرية التفسير النفسى لحركة الإنسان وهى المعروفة بنظرية فرويد ، ونظريات علم النفس والإجتماع .

٤ — التشكيك فى صحة الحديث النبوى الذى اعتمده علماء المسلمين المحققين .

٥ — التشكيك فى قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمى

وتشكيكهم فى ثراء الأدب العربى وإظهار هذا الأدب مجدباً فقيراً حتى تتجه إلى أدبهم .

٦ — إبراز الخلافات الفكرية بين المسلمين وتغذيتها ومن هنا جاء اهتمامهم بدراسة تاريخ الفرق الإسلامية .

٧ — تأسيس الحركات المناهضة للإسلام ودعمها وتشجيعها وفى هذا المجال ظهرت القاديانية والبهائية وغيرهما .

٨ — تصوير الأحكام الشرعية بتغيير صورتها وتفسيرها بغير مدلولها وفى هذا الميدان طعنوا فى تعدد الزوجات .

٩ — إشاعة الأفكار الفلسفية وإيهام المسلمين بأنها تتفق مع الإسلام ولا تتعارض مع مبادئه ، مع أنها أفكار ومفاهيم ليس بينها وبين الإسلام نسب ولا سبب .

١٠ — إضعاف روح الإخاء الإسلامى بين المسلمين فى مختلف الأقطار الإسلامية بإثارة الخلافات وإحياء القوميات ، وغير ذلك مما يفرق ولا يجمع .

١١ — تشكيك المسلمين فى قيمة تراثهم الحضارى وإضعاف ثقتهم بهذا التراث ، وبث روح الشك فى كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم فيكونوا عبيداً لهم يفعلون بهم ما يشاءون .

هذه أهم الاتجاهات التى سلكها المستشرقون وتلاميذهم واعتبروها أسساً صالحة لضرب الاسلام فى صميمه والقضاء عليه [1] .

---

(١) أنظر : نظرات فى الثقافة الإسلامية د/ أحمد نوفل ص ٤١ ، ٤٢ الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق د/ عبد الغفار عزيز ص ٢٧٦

وسائل المستشرقين فى نشر أبحاثهم وأفكارهم : —

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها ومنها :

١ — تأليف الكتب فى الموضوعات المختلفة عن الإسلام ، وفى أكثرها تحريف متعمد فى نقل النصوص المقصود به الطعن فى الإسلام وعقيدته وشريعته .

٢ — إلقاء المحاضرات فى الجامعات والجمعيات العلمية العربية والإسلامية وبث السموم خلال هذه المحاضرات .

٣ — عقد المؤتمرات التى يتدارسون فيها مناهج سياستهم .

٤ — التسلل إلى المنظمات والمؤسسات التربوية والفنية والعلمية .

٥ — تحقيق المخطوطات وكان هذا ومازال ميدانا فسيحاً لهم لبث آرائهم وأفكارهم ومفاهيمهم من خـــلال تحقيق هذه المخطوطات ، إذ يقدمون على اختيار كتب معينة يجدون فى تحقيقها مايحقق آمالهم وأحلامهم الخبيثة . وقد حققوا كتباً فى الأدب والتاريخ ، وسلكوا فى التحقيق اتجاها غير سليم يشكل خطراً على هذه الثروة العظيمة ، وإنه لمن الأهمية البالغة أن نضع بين الدارسين الحقيقة التالية وهى أن المستشرقين لم يكونوا يوماً ما منصفين للحقيقة العلمية المجردة ، بل كانت أبحاثهم كلها موسومة بصورة واضحة بأسس عقائدهم ومقاصدهم الخبيثة ، وإن المستشرقين فى أكثريتهم الساحقة خونة العلم والمعرفة ومزوروا الحقائق العلمية ، ومشوهوا التاريخ ، وقليل منهم درسوا العلم للعلم وقدموا المعرفة مجردة عن التزييف فى إطار اجتهادهم الشخصى ، ولذلك وقف منهم المسلمون إلا قليلا منهم موقف اليقظ والحذر وهذا مادعاهم إلى أن

يستبدلوا الاستشراق باسم جديد هو مؤسسة الدراسات والعلوم الإنسانية ليخدعوا من على عينيه غشاوة .

ومن هنا فإن من واجب المسلمين تجاه الاستشراق أن يكونوا يقظين حذرين مما يكتبه المستشرقون فى مؤلفاتهم والدوائر الموسوعية ، وألا يجعلوا من هذه المؤلفات والموسوعات مصادر معرفتهم عن الإسلام وحضارته وأن ينتبهوا إلى مغالطاتهم وتحريفاتهم، والا ينخدعوا بأساليب المستشرقين الناعمة وبعباراتهم المنمقة ، التى قصدوا بها استدراج القارىء المسلم لأمر عقله وقلبه[1] .

(ج) الإستعمار :-

يعتبر الاستعمار أيضاً مؤسسة هامة من مؤسسات الغزو الفكرى الغربى إن لم يكن أهمها على الإطلاق ، وقد ارتبط الاستعمارا رتباطاً وثيقا بالتبشير والاستشراق ، حيث أنه القاعدة الأساسية ، التى ينطلق منها التبشير والاستشراق ،وهو الذى جندهم لخدمته وتحقيق أهدافه سواء العسكرية منها أو السياسية أوالاقتصادية أو الفكرية ، فهو الأستاذوهم التلاميذ ، وهو الجسم وهم العيون والجواسيس ، ويؤكد هذا ماقاله (لورانس براون) أحد أقطاب المبشرين فى العالم : حيث قال : إن الإسلام هو الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى[2] .

وما ألقاه كبير المبشرين (صموئيل زويمر) على المبشرين يؤكد لنا أيضاً ويوضح ويزيد الأمر وضوحاً صلة الاستعمار بالتبشير فيقول :

---

(١) راجع فى هذا : إطار إسلامى للفكر المعاصر أنور الجندى ص ١٧ ، نظرات فى الثقافة الإسلامية د / أحمد نوفل ص ٤٢ ، ٤٣ بتصرف

(٢) أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن حسن ص ٦٧

إن مهمة التبشير التى ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى ادخال المسلمين فى المسيحية ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم عن الإسلام ليصبح مخلوقاً لاصلة له بالله وبالتالى لاصلة له بالأخلاق، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طلائع الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية ، وهذا ماقمتم به خير قيام (١) .

وأما عن صلة الاستعمار بالاستشراق فإنها صلة وثيقة ، وهى تكمن فى استخدام العلم فى خدمة السياسة ، فالمستشرقون هم الذين يتولون إثارة الشبهات وتفخيم الأخطاء التى تزعزع العقيدة فى نفوس المسلمين ، والتى تمهد للاستعمار احتلال بــلاد المسلمين واستعمارها والسيطرة عليها واستغلالها وابتزاز خيراتها ، وكـذلك إضعاف المسلمين بتجزئة بلادهم واعتماد الأساليب الشريرة من إثارة النعرات والعصبيات ومحاولة نقل المسلمين نقلة واسعة وكلية إلى الغرب وطراز معيشته وأسلوب حياته ومدنيته وحضارته وثقافته ليضمن بقاءه واستمرار نفوذه وسيطرته واستغلاله (٢) .

ومن هنا التقت مصلحة المبشرين والمستشرقين مع أهداف الاستعمار حيث مكن الاستعمار هؤلاء المبشرين والمستشرقين واعتمد عليهم فى بسط نفوذه فى الشرق وفى الوقت نفسه سهل الاستعمار لهؤلاء مهمتهم وبسط الاستعمار عليهم حمايته وزودهم بالمال والسلطان حتى يتسنى له احتلال الشرق الإسلامى .

---

(١) تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة أنور الجندى ص ٢٣

(٢) تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة أنور الجندى ص ٣٠

(د) التغريب[1] :

وهوآخر مرحلة من مراحل مؤسسة الغزو الفكرى الغربى ، هذه المؤسسة التى خططت ونفذت خططها بدقة ونجحت فى هذا التخطيط أيما نجاح ، فقد بدأت خططهـــا الإجرامى بالغزو الفكــرى المتمثل فى التبشير والاستشراق وانتهت بالغزو العسكرى فى احتلال بلدان العالم الإسلامى ، وبذلك يكون الغرب قدحقق أهدافه الخبيثة ، فقد احتل بلاد المسلمين وقطع أوصالها ، وجزأ الأمة إلى شعوب ، وصار هو المتحكم فى البلاد والعباد ، على أن الغرب مع ما أحرزه من نجاح فى تنفيـــذ خطته الإجرامية ، فإنه يدرك تماماًأن نجاحه هذا لايضمن له بقاءه فى ديار المسلمين ، فهو يعلم حقيقة أن جيوشه لابد من أن تضطر يوماً إلى الرحيل[2] .

ومن هنا يصبح الاستعمار غير قادرعلى حراسة أفكاره وثقافته ، وأهم من هذا بكثير أنه يعلم أن المسلمين لهم قيم ومثل عليا خاصة تحول بينهم وتمنعهم من الاندماج فى الأمم الأخرى ، وهذه القيم والمثل العليا تميزهم عن غيرهم من أجل ذلك أخذ الغرب يهدف إلى شىء آخر وهو أن يجعل المسلمين يحملون ثقافته ويعيشون عيشته ويطبقون مدنيته وحضارته اجتماعياًواقتصادياً كذلك التخلق بأخلاقه والتشبه به فى كل صغيرة وكبيرة حتى يضمن بقاء العالم الإسلامى تحت سيطرته وحكمه ، ولأجل البقاء

---

(١) أول من استخدم هذا الاصطلاح وأعطاه مفهومه هو المؤرخ الإنجليزى (جب) حين دعا إلى حق الغرب فى امتلاك التوجيه على التربية والصحافة ومقومات الحياة . الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين ص ٤٢

(٢) القرن الخامس عشر الهجرى أنور الجندى ص١٢٥ بتصرف .

والسيطرة خطط الغرب تخطيطاً آخر وهو العمل على إزالة الحواجز الناتجة عن الاختلاف في الدين واللغة لضمان بقاء العالم الإسلامي وسيره إلى الأبد في إطار مصالح الغرب .

والواجب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إزاء هذا الغزو الغربي الثقافي وآثاره السيئة على الأمة الإسلامية أن يدركوا خطره الذي فتك بحياتهم وأبعدهم عن منابع حضارتهم وثقافتهم ، وأن يعملوا جاهدين متكاتفين على إعادة مجدهم الفكري وعزهم الثقافي والسياسي ، بتطبيق الإسلام منهجاً وسلوكا ونظام حياة بالطريقة التي رسمها القرآن الكريم ونفذها الرسول ﷺ .

نتائج الغزو الفكري :

من العرض السابق يتضح لنا أن الحملات التي قامت بها مؤسسات الغزو الفكري الغربي قد نجحت نجاحاً عظيما وحققت أغراضها وأهدافها حين ضمت إليها غالبية الفئة المثقفة من المسلمين وجندتها لحسابها الخاص وجعلتها في صفها تحارب الإسلام وثقافته وحضارته ، وأكثر من هذا ، بل الأهم أن هؤلاء المثقفين تنكروا للثقافة الإسلامية واعتبروها سبب التخلف والجمود وفضلوا عليها الثقافة الغربية ، بل اتجهوا في حياتهم طبق مفاهيمها .

ومن الجدير بيانه وتوضيحه أن هذا النجاح العظيم ، الذي حققته هذه المؤسسات الفكرية الغربية تجاوز حده ولم يقتصر على هذه الفئة المثقفة ، بل أقبل الكثير من المسلمين الذين شغفوا بثقافة الغرب وحضارته على

---

(١) راجع : حصوننا مهددة من داخلها في أوكار الهدامين محمد محمد حسين ١٠٤ بتصرف الكويت مكتبة المنار الإسلامية ١٩٦٨

الثقافة الغربية وعلومها المختلفة يدرسونها ويطبقونها . كذلك أقبلت المرأة المسلمة أيضاً حتى لا يضيع دورها تنهل هذه الثقافة حتى صارت لا تتميز عن غيرها من نساء الغرب ، بل أصبحت هي امرأة غربية تسلك مسلكها وتترسم خطاها وتتمثل مفاهيمها عن الحياة حتى كادت تنسى أن مفهوم المرأة في الإسلام أنها أم وربة بيت وعرض يجب أن يصان .

وصدق فيها قول الشاعر :—

أعلمه الرماية كل يوم	فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي	فلما قال قافيـــة هجاني

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل إن المسلمين استجابوا إلى الدعوات العنصرية الهدامة ، حتى صارت هذه الدعوات على لسان الكثيرين ، كأنها أصبحت المرتكز والقاعدة لأي عمل في أي اتجاه سياسياً كان أم اقتصادياً أم فكرياً وفضل المسلمون وقبلوا ماتنادي به مؤسسات الغزو الفكري الغربي من دعوات لهدم اللغة العربية وإحلال العامية محلها وكتابة اللغة العربية باللاتينية وعللوا كل هذا بأن اللغة العربية عاجزة أن تكون لغة العصر والعلم والثقافة .

ومن هنا قبلوا فكرة استعلاء اللغات الأجنبية على اللغة العربية[1] .

وهذا ما يطبقه الإستعمار بفكره وثقافته في كل بلد ينزل به ، فهو يطعن في لغة البلد ويعتبرها لغة التخلف والجمود وأنها هي السبب في تخلف البلاد الإسلامية عن ركب الحضارة .

---

(١) اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر محمد محمد حسين ص ٤٣ : ط ٢ بيروت دار الإرشاد ١٩٧١

موقف الأمة الإسلامية من الغزو الفكرى الغربى :-

إن الأمة الإسلامية مطلوب منها أن تقف موقفاً عظيماً ، وأن تعرف الواجب المنوط بها ، وأن تدرك الدور المكلفة به تجاه الغزو الفكرى الغربى الثقافى ، لأن هذا الغزو مستمر بدون توقف ، كما أن مؤسساته لا تتوقف عن العمل وشن حملات التغريب الواسعة ضد المسلمين حتى يبعدوهم عن ثقافتهم والغريب فى الأمر بل الأشد خطراً أن هذه المؤسسات لاتهدأ أو لا تستريح ولا تطمئن حتى ترى الأمة الإسلامية كلها تحمل الثقافة الغربية ، وتأخذ بطراز معيشة الغرب وأسلوبه فى الحياة .

فكان لزاماً على الأمة الإسلامية أن تقف موقفاً حاسماً نحو هذا الغزو ، حيث أن الله عز وجل حملها رسالة الإسلام وجعلها خير أمة أخرجت للناس فقال تبارك وتعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »[1] .

ومن هنا لابد أن ندرك أن المخرج الوحيد من هذه الحياة ، حياة الذل والشتات ، والسبيل الوحيد والطريق السليم للانقاذ هو الرجوع إلى الإسلام وفهمه فهماً حقيقياً نقياً صافياً من الشك والرياء وهذا لايكون إلا بالتصديق الجازم لعقيدته وشريعته ، وأن نحمل رسالة الإسلام كما حملها الرسول ، ﷺ وخلفاؤه الراشدون رضى الله عنهم من بعده فبهذا الحمل الصادق الأمين للرسالة وهدم الثقافة الغربية وأوضاعها والتمسك بالثقافة الإسلامية ، تنهض الأمة الإسلامية والعربية وتصبح خير الأمم على الإطلاق مادامت مستمسكة بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ، ﷺ وهما المصدران الرئيسيان للثقافة الإسلامية ، ولاسبيل

---

(١) آل عمران : ١١٠

ولاخلاص إلا بذلك قال جل فى علاه « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم »[1]

وقال ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى »[2][3]

ففى كتاب الله عز وجل وسنة الرسول ﷺ الفلاح والصلاح والتقدم والإزدهار لمن ، استمسك بهما وطبقهما فى حياته واتخذهما منهج حياة وسار فى ركابهما ففيهما العزة والنهضة والثقافة والحضارة والمدنية والتقدم بإذن الله تعالى .

وحدة الأمة الإسلامية وموقف الغرب :-

الإسلام دين عالمى جاء للناس عامة ، فلم يأت لشعب دون شعب ، ولاقوم دون قوم ، ولم يخص فى دعوته زمنا معيناً أو مكاناً معينا، وكان من نتيجة هـــذه الدعوة وجود الأمة الاسلامية الواحدة ، الذى ربط الاسلام بين أفرادها برباط العقيدة ، فأصبحوا بفضل الله عزوجل أخوة متحابين متوادين مؤمنين قال تبارك وتعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها... »[4] منصهرين فى بوتقة واحدة هى بوتقة العقيدة الاسلامية قال عز وجل : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »[5]

---

(١) الاسراء : ٩

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) نظرات فى الثقافة الإسلامية ص ٤٦ ، ٤٧ بتصرف د/ أحمد نوفل .

(٣) آل عمران : ١٠٣ (٥) الحجرات : ١٠

متساوين جميعاً في الحقوق والواجبات قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »[١]

ثم إن الإسلام لم يجعل التفاضل بين المسلمين أفراداً كانوا أم جماعات إلا على أساس التقوى والعمل الصالح قال جل في علاه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير »[٢] وقال ﷺ في الحديث الشريف الصحيح : « لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى »[٣]

ومن هنا وبناء على ماسبق فقد ألف الإسلام بين قلوب العرب بعد أن كانوا قبله قبائل متناحرة متشاجرة يضرب بعضهم رقاب بعض على أتفه الأسباب فكانت الحروب تشتعل بينهم ولا تنتهي حتى تأتي على كل شيء ، فجاء الإسلام بهذه العقيدة المتينة ، والأخوة العظيمة وجاء الفتح المبين ، الذي أنقذ البشرية من عوامل الظلم والفجور والطغيان والاستعباد في الأرض فكان طريقاً لهداية الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان ، ومن ظلمات الضلال إلى نور الحق ، فدخلت الشعوب في دين الله تعالى طائعة مختارة ، غير مكرهة من أحد ، وألقت عن كواهلها قيود الشرك والوثنية وانسلخت من ثقافتها وحضارتها ومافيها من أوهام وضلالات ، وأخذت بحضارة الإسلام وثقافته ، وبذلك طويت الثقافات والحضارات القديمة وأصبحت في خبر كان ، ولم تعد في حياة البشر أكثر من تاريخ فيه العبر والعظات .

من هنا كان الحقد والحسد والبغضاء والكراهية من جانب الغرب ، فقد أغاظتهم هذه الوحدة بين الأمة الإسلامية ، لأنها كانت من عوامل هزيمتهم الأساسية في الحروب الصليبية التي قامت بين المسلمين والغرب

---

(١) الحجرات : ١٣ (٢) الحجرات : ١٣

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده

المسيحى ، كما أنها تعتبر فى نظرهم أيضا القاعدة التى تقف فى طريقهم لاحتلال البلاد الاسلامية .

ومن أجل ذلك أخذوا يعملون على تشتيت وتفكيك المجتمع الإسلامى والقضاء على الرابطة ، التى تربط المسلمين وتجعلهم أمة واحده متماسكة ، فلجأوا إلى إثارة العصبيات ، والفتن الطائفية والوطنية وأخذوا يشجعون على قيام الأقليات وتحريكها ، كى يتخذوا منها أدوات ومعاول هدم لضرب المسلمين ودولتهم ، بأن يضرب بعضهم رقاب بعض ، ويجهز بعضهم على بعض ، وبذلك تتفرق وحدة الأمة الإسلامية وتضعف قوتهم وتتشتت فيتمكن الغرب من احتلال بلادهم ومن ثم القضاء عليهم[١] .

أساليب الغرب فى إحياء النزعات الجاهلية :

الأساليب التى اتخذها الغرب واعتمد عليهـــا فى دعوته إلى النزعات الجاهلية كثيرة ومتنوعة ، فنجده مثلا عمد إلى اصطحاب العلماء وجلب البعوث من أجل التنقيب عن الآثار القديمة وإبراز معالمها كما حدث بالنسبة للأهرامات وأبى الهول وترميم هذه الأشياء والمحافظة عليها وربط أبناء البلد بهذه الأشياء ، كما أنه لجأ إلى إنشاء المتاحف لبعث التاريخ القديم فى كل جزء من أجزاء العالم الإسلامى ، وتلوين كل بلد بفنون الجاهلية من فن ونحت وتصوير وأكبر مثال على ذلك التماثيل التى نجدها فى الميادين العامة والاهتمام الزائد بها والمحافظة عليها حتى يتعلق الشعب بها ، كما أنه عمد إلى الأساطير القديمة فأحياها فى شكل مسرحيات وقصص وآداب كمسرحية إيزيس وأوزوريس وغيرها .

كما أنه أخذ يلون الحياة بتقاليد وعادات وشعارات وشارات مستمدة

---

(١) راجع : نظرات فى الثقافة الإسلامية د / أحمد نوفل ص ٤٩، ٥٠ بتصرف .

من الماضي السحيق كالاحتفال بشم النسيم ووفاء النيل والأربعين والسنوية وإحيائها واعتبار أنها جزء لا يتجزأ من تراث المجتمع وتاريخه ، كما أنه أخذ يدعو إلى استبدال اللهجات السوقية لكل نزعة باللغة العربية والكتابة بالحروف اللاتينية وهذه الدعوة تعتبر دعوة إلى ربط الحاضر بماضي قديم والتنكر لمقومات الحياة الإسلامية .

الفرعونية :

هي نزعة من نزعات الجاهلية شجع عليها ونادى بها الاستعمار الغربي والفرعونية نسبة إلى الفراعنة ، الذين حكموا مصر في العهد القديم ، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم .

قال عز وجل : « وفرعون ذي الأوتاد . الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد »[1] .

وقال جل في علاه : « إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين »[2] فكانوا كما وصفهم القرآن الكريم مفسدين في الأرض طاغين، وأهل بطش وجبروت وكبرياء ، زعموا أنفسهم أرباباً من دون الله قال عز وجل على لسان فرعون الطاغية «أنا ربكم الأعلى »[3] .

كما أنهم قسروا الناس وأجبروهم على تأليههم وعبادتهم من دونه فقال: « يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع على إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين[4] .

---

(١) الفجر : ١٠ — ١٢ (٢) القصص : ٤
(٣) النازعات : ٢٤ (٤) القصص : ٣٨

كما أنهم كانوا يعبدون الشمس والعجل ، ويقدسون النيل ويقذفون إليه القرابين من كل عام وهو ما يسمى بعيد وفاء النيل .

ولما فتح المسلمون مصر بقيادة القائد المسلم عمرو بن العاص رضى الله عنه دخل الشعب المصرى الإسلام وشعر بالأمن والأمان والسلام ، وأصبح الإسلام دينه ، وربط الاسلام بعقيدته السهلة وشريعته الميسرة ، بين هذا الشعب فى مصر وبين سائر الشعوب الاسلامية رباط الأخوة ، والمحبة والتعاون والمودة فى إطار الأمة الاسلامية الواحدة مصداق ذلك قول الله عز وجل : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »[1].

وقوله تبارك وتعالى : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »[2] .

ولكن عندما نزل الاستعمار أرض مصر عز عليه وحدتها الإسلامية وما هى عليه من ثقافة وحضارة إسلامية ، ومن هنا أراد عزل مصر وإخراجها من الدائرة الاسلامية فخطط لذلك ونادى بأن مصر للمصريين ، ومعنى ذلك بأن لا تمت للاسلام بصلة ومن أجل أن يؤكد ذلك : أخذ ينادى بالفرعونية ونشط لكى يجعل لمصر من الفرعونية حضارة ، فأخذ ينبش قبور الفراعنة، ويبحث فى آثارهم ليختلق تاريخاً ، وليؤكد حضارة حتى يصرف المسلمين فى مصر عن الاعتزاز بحضارتهم الاسلامية إلى الاعتزاز بالحضارة الفرعونية .

ثم أخذ يحرك المشاعر ويعمق الأحاسيس تجاه هذه النزعة الجاهلية وجعلها أساساً للأدب والفنون والأزياء والشارات ، وضخم الغرب هذا التراث عن طريق الجامعات والصحافة والتماثيل التى أقامها فى ميادين

---

(١) الأنبياء : ٩٢ (٢) المؤمنون : ٥٢

المدن المصرية كتمثال رمسيس وغيره من التماثيل المنتشرة فى أرجاء الجمهورية[١] .

وإذا نظرنا إلى ماقام به الغرب من التماثيل والمومياء وقطع الآثار التى توصل إليها ومكث سنين عديدة فى البحث عنها وجمعها نجد أن كل ذلك من أجل إبعاد المسلمين وصرفهم عن حضارتهم الاسلامية والاتجاه إلى هذه الحضارة الفرعونية ، ومع هذا فإن هذه الدعوة إلى الفرعونية لم تجد لها آذاناً صاغية لدى المفكرين والأدباء .

يقول الأستاذ محمد حسين هيكل فى مقدمة كتابه (فى منزل الوحى) : وانقلبت ألتمس فى تاريخ الفراعنة ما قد يصلح لنهضة فما رأيت ، ورأيت أن تاريخنا الاسلامى هو وحده البذر الذى ينبت ويثمر ففيه حياة تحرك النفوس وتجعلها تهتز وتربو[٢] .

ويقول الأستاذ أحمد حسن الزيات : هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرناً وثلث من التاريخ الاسلامى نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الصباحية سوابغ الظلال ويقول : عبثاً بحثت عن الحضارة الفرعونية فى مصر الحديثة وأعلن أن الحضارة الفرعونية قد ماتت[٣] .

الرومانية :

الدعوة إلى الرومانية تشترك مع الدعوة إلى الإغريقية فى كونها المصدر الثانى للحضارة الغربية . فالحضارة الرومانية إلى جانب كونها حضارة

---

(١) أنظر : نظرات فى الثقافة الاسلامية د / أحمد نوفل بتصرف .
(٢) الإسلام والعالم المعاصر — أنور الجندى ص ٣٥
(٣) الأخطاء والشبهات — أنور الجندى ١٥١

وثنية فى جوهرها فإنها حضارة تقوم على الاستغلال والسيطرة والاستبداد وشهوة القهر والتعذيب . وروح الاستعمار والاستعلاء ، كما أنها تقوم على الاغراق فى المادة واللذة الجسدية ، فهى ذات أصول إغريقية وبهـــذه الأصول ابتلعت النصرانية وشوهت ، ولم يزد الجانب الروحى بذلك عن مجموعة من الطقوس والترانيم التى تتطور إلى فنّ تمثيلى وثنى كما كان عند اليـونان .

وهدف الغرب فى الدعوة إلى الرومانية هو :—

١ — إضفاء الصبغة على هذه البـــلاد بأنها رومانية فى أصولها ، وحضارتها وثقافتها وهذه آثارهم تشهد لهم حسب زعمه ، وما المسلمون إلا طارئون ، ومن أجل هذه أحيطت الآثار الرومانية بالعناية والرعاية.

٢ — الطعن فى الفقه الاسلامى وأنه مستمد من الفقه الرومانى الذى تقوم عليه القوانين الفرنسية والانجليزية وغيرهما .

٣ — الدعوة إلى الأخذ باللاتينية بدلا من اللغة العربية أوعلى الأقل كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وقد استجاب لهذه الدعوة نفر باعوا أنفسهم للشيطان فدعوا إليها[1] .

الفارسية :

الفارسية نسبة إلى فارس وهى إحدى القبائل التى استوطنت البلاد المعروفة الآن بإيران ، والتى كانت تعرف سابقاً ببلاد فارس ، ويكاد

---

(١) الثقافة العربية / أنور الجندى ص١٣٢ ، معالم التاريخ الاسلامى / أنور الجندى ص ٨١

استعمال هذه التسمية مقتصراً على المصادر التاريخية الاسلامية ، أما كلمة إيران فالمرجع فى استعمالها أنها حديثة مشتقة من الآرية ، وتعنى فى اللغة الفارسية القديمة السامى أو المجيد[1] .

وظهرت الدعوة إلى الفارسية فى الوقت الذى كان الاتحاديون[2] يتحدثون فيه عن العصبية التركية التى تطورت إلى طورانية .

والدعوة إلى الفارسية دعوة يقصد بها ربط إيران بكل قديم لها قبل الاسلام من لغة وعادات واحتفالات ، كما يقصد بها فصل إيران عن كل شعوب الأمة الاسلامية ، وحتى تحقق الدعوة إلى الفارسية أهدافها هذه أخذ الغرب يتجه إلى :—

١ — تنقية اللغة الفارسية الحديثة مما أسموه الدخيل وهو اللغة العربية وعهدوا بذلك إلى المجمع اللغوى الايرانى الذى أسس سنة ١٩٣٧م

٢ — اتخاذ الساسانية أساساً للثقافة وربطها بالثقافة الغربية .

٣ — ربط الشعب الايرانى المسلم بسلالة الشعوب الهند وأوربية ، والقول بأنه لا يمت إلى العرب بصلة لا بنسب ولا بدين .

٤ — إيجاد الصراع وتعميقه بين الشعب الايرانى والعرب ليعمق الغرب سيطرته الكاملة على هذه المنطقة وبقاءه عليها .

٥ — ومع كل ما استهدفت إليه هذه الدعوة إلى الفارسية المجوسية وما صاحبها من إحياء كل قديم فارسى من لغـة وعادات واحتفالات وشعارات وتاريخ يعود إلى ألوف من السنين ، إلا أنها شهدت هزيمة

---

(١) تاريخ إيران القديم طه باقرور فاقه ص ١٤ بغداد ١٩٨٠

(٢) هم جماعة الاتحاد والترقى التى قامت بانقلاب على السلطان عبدالحميد ١٩٠٨ وهدمت الخلافة الاسلامية ١٩٢٣

منكرة بعد أن ظن القائمون على الدعوة إليها أنهم نجحوا فى ذلك لأنهم غير ملاقى حسابهم[1] .

الإغريقية :

الحضارة الإغريقية فى جوهرها تنكر الروح وتقدس الجسد وترتكز على أساس أسطورى . ولذلك كان للحضارة الإسلامية منها موقف حازم فقد رفضتها وأنكرتها ويبدو هذا واضحاً فى ترجمة المسلمين كتب الفلاسفة اليونانيين للرد عليها وبيان زيفها وتناقضها مع العقيدة الإسلامية والحضارة الإسلامية ، والغرب فى بعثه الفلسفة اليونانية والاعلاء من شأن الفلاسفة اليونانيين وجعل هذه الثقافة اليونانية ركيزة الثقافة فى الجامعات إنما يهدف إلى نشر الثقافة الغربية وإحلالها محل الثقافة الاسلامية ، كما أن الدعوة لإحياء الحضارة الاغريقية تستهدف الطعن فى أصالة الحضارة الإسلامية[2] .

الفينيقية :

تعتبر الفينيقية إحدى هذه الدعوات التى اصطنعها الغرب قاصداً منها سلخ لبنان عن بلاد الشام والعالم الإسلامى . والحضارة الاسلامية، وهى دعوة تقوم على إرجاع سكان لبنان إلى أصول فينيقية أو صليبية وإلى اتخاذ الفينيقية مصدراً حضارياً وتاريخياً وفكرياً ، وهى دعوة تستهدف فوق هذا اتخاذ لبنان قاعدة فكرية وثقافية وحضارية تنطلق منه حركة التغريب الواسعة[3] .

---

(١) حاضر العالم الإسلامى شكيب أرسلان ح١ص١٦٤، ١٩٣ ط: بيروت دار الفكر ١٩٧٢

(٢) الإسلام وثقافة الإنسان سميح عاطف الزين ص٢٨٥

(٣) الشبهات والأخطاء أنور الجندى ص٣٠٠

من العرض السابق يتبين لنا خطورة هذه الدعوات الهدامة والعصبيات القاتلة ، وأنها تستهدف أولا وأخيراً القضاء على وحدة الأمة الإسلامية ، حيث قامت بفصل شعوب الأمة الاسلامية بعضها عن بعض ، وكان من نتيجة هذا الفصل إضعاف قوة المسلمين وتشتتهم وتفرقهم مما أعطى الفرصة للأعداء من تحقيق أهدافهم الاستعمارية ومخططاتهم الإجرامية فى السيطرة على شعوب الأمة الاسلامية .

أهم المراجع

١ ـ القرآن الكريم كتاب رب العالمين .

٢ ـ أساس البلاغة للزمخشرى

٣ ـ الإسلام والنصرانية للإمام محمد عبده

٤ ـ الإسلام والعالم المعاصر أنور الجندى

٥ ـ إتجاهات هدامة فى الفكر العربى المعاصر محمد محمد حسين

٦ ـ إطار إسلامى للفكر المعاصر أنور الجندى

٧ ـ أجنحة المكر الثلاثة عبد الرحمن حسن الميدانى

٨ ـ الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين

٩ ـ أضواء على الثقافة الإسلامية نادية العمرى

١٠ ـ الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى
ا . د. محمود زقزوق

١١ ـ الإسلام وثقافة الإنسان سميح عاطف الزين

١٢ ـ تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير

١٣ ـ التبشير والاستعمار مصطفى خالدى وعمر فروخ

١٤ ـ تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة أنور الجندى

١٥ ـ تاريخ إيران القديم طه باقر ورفاقه

١٦ ـ التربية وبناء الأجيال فى الإسلام أنور الجندى

١٧ ـ التبيان فى علوم القرآن محمد على الصابونى

١٨ ـ الترغيب والترهيب للامام المنذرى

١٩ ـ الثقافة العربية أنور الجندى

٢٠ ـ الثقافة الإسلامية محمد راغب الطباخ

٢١ ـ د الثقافة الإسلامية سميح عاطف الزين

٢٢ — ثقافة المسلم فى وجه التيارات المعاصرة د / عبد الحليم عويس
٢٣ — حاضر العالم الإسلامى للأمير شكيب أرسلان
٢٤ — حصوننا لهددة من داخلها محمد محمد حسين
٢٥ — حقيقة التبشيرين الماضى والحاضر أحمد عبد الوهاب
٢٦ — الخطابة الدينية بين النظرية والتطبيق د / عبد الغفار عزيز
٢٧ — دراسات فى الثقافة الإسلامية د / أمير عبد العزيز
٢٨ — روح الدين الإسلامى عفيف عبد الفتاح طباره
٢٩ — رياض الصالحين للامام النووى
٣٠ — سنن الترمذى للامام الترمذى
٣١ — سنن أبى داود للامام أبى داود
٣٢ — سنن ابن ماجه للامام ابن ماجه
٣٣ — الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى أنور الجندى
٣٤ — صحيح البخارى للامام البخارى
٣٥ — صحيح مسلم للامام مسلم
٣٦ — الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى
٣٧ — القاموس المحيط للفيروز أبادى
٣٨ — القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم موريس بوكاى
٣٩ — قيم حضارية فى القرآن الكريم توفيق محمد سبع
٤٠ — القرن الخامس الهجرى أنور الجندى
٤١ — مختار الصحاح الرازى
٤٢ — مبادىء الثقافة الإسلامية محمد فاروق النبهان
٤٣ — مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة للشيخ محمد الغزالى
٤٤ — معالم الثقافة الإسلامية عبد الكريم عثمان
٤٥ — المفهوم والتجربة محمد على ضناوى

٤٦ — مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل
٤٧ — معالم التاريخ الإسلامى أنور الجندى
٤٨ — لسان العرب لابن منظور
٤٩ — لمحات فى الثقافة الإسلامية عمر عودة الخطيب
٥٠ — نظرات فى الثقافة هارى شابيرو
٥١ — نظرات فى الثقافة الاسلاميه د / أحمد نوفل
٥٢ — يقظة العرب جورج أنطونيوس

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب
١٠٢٩٩ / ١٩٩٢ م
I, S . B: N. - 977 - 00 - 4080 - 0
٢٢ من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ — ١٦ من ديسمبر ١٩٩٢ م